الجمـــهورية الجـــزائرية الديمـــقراطية الشعـــبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم:.....

Université du 8 Mai 1945 Guelma

Faculté des Lettres et Langues

Département de la langue et littérature arabe

N°:.....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

المـاســـتر

(تخصص أدب جزائري)

الأنساق الثقافية المضمرة في خطاب النكتة الشعبيّة الجزائرية

مقدمة من طرف:

الطالبة: عائشة ملوكي

تاريخ المناقشة:24-06-2025

الإسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الإنتماء	الصفة
شوقي زقادة	أستاذ محاضر –أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	**رئيسا**
فوزية براهيمي	أستاذ محاضر –أ–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	**مشرفا ومقررا**
لمياء عيشونة	أستاذ محاضر –ب–	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	**ممتحنا**

السنة الجامعية: 2024-2025

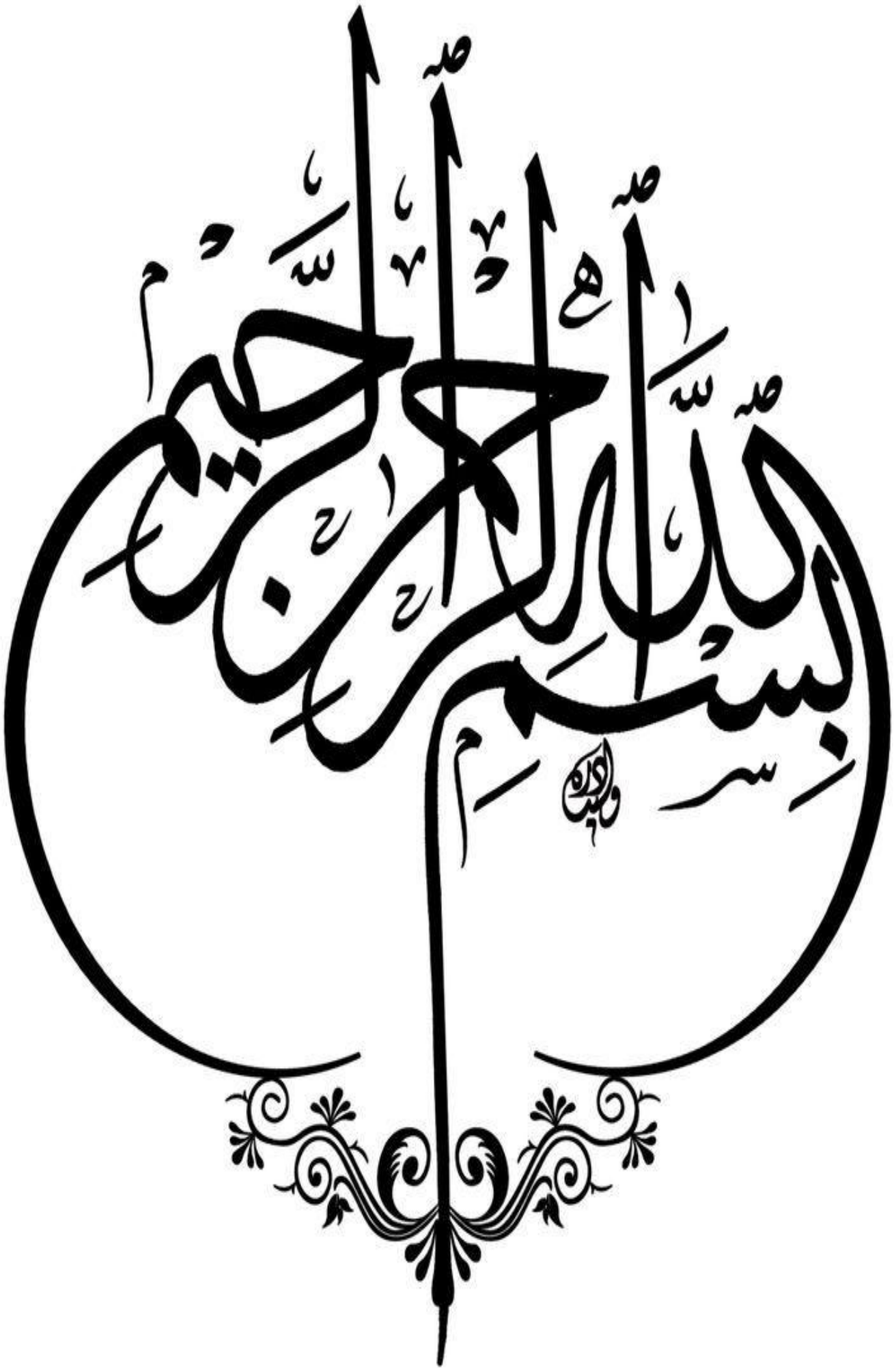
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل إلى:

والديّ رحمهما الله واسكنهما فسيح جنانه..

إلى أخويّ وأختي وأشكرهم على تشجيعهم لي في مواصلة دراستي

إلى زوجي الذي كان سندا وعونا لي في تخطي المصاعب التي واجهتني في مشواري الدراسي دون أن يكلّ أو يملّ

إلى أبنائي الأعزاء: **أمين، إيمان، تقى**

إلى كل زملائي بمدرسة زيادة صدّوق –الفجوج-

إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي دون تمييز.

شكر وتقدير

أشكر كل من قدم لي يد العون في مواصلة مشواري الدراسي وعلى رأسهم:

أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

الأستاذة المشرفة الدكتورة " **فوزية براهيمي**" على صبرها وتوجيهاتها القيّمة التي أفادتني وأنارت الطريق أمامي

إلى كل من قدّم يد المساعدة وشجعني على مواصلة دراستي

إلى ابنتي العزيزة إيمان في مرافقتي للجامعة وتسهيل ما صعب عليّ وقد احتوتني بحبها وفرحها وتشجيعها لي في مواصلة مشواري الدراسي.

مقـــدمة

تعددت المناهج العلمية في دراسة الأدب واستقراء نصوصه وتحليلها وتفسيرها، ومن بين هذه المناهج النقد الثقافي الذي ظهر مع تيارات ما بعد الحداثة وهو اتجاه نقدي يهتم بدراسة النصوص الأدبية والفنية، ويفهمها في سياقها الثقافي والتاريخي والسياسي والاجتماعي، كما يكشف الأنساق الثقافية المضمرة في النصوص، وكان للأدب الشعبي نصيب من هذا الإهتمام فانكبّ الباحثون على دراسة أشكاله المتمثلة في الحكايات الشعبية والأمثال والأغاني والموروثات الثقافية والشعر الشعبي والأساطير والألغاز والعادات والتقاليد والنكت أو النوادر والطّرف وهي موضوع دراستنا، حيث اعتمدنا منهج النقد الثقافي لاستخراج أنساقها الثقافية المضمرة وتفسير الرسائل المشفّرة التي يمكن إيصالها بأسلوب فكاهي ساخر، وكما قال هارون الرشيد " النوادر تشحذ الأذهان، وتفتح الآذان ".

من أسباب اختيار هذا الموضوع أنّ النكتة الشعبية الجزائرية تعدّ مادة دسمة لمثل هذا النوع من الدراسات، وبإمكان النقد الثقافي الكشف عن خباياها ومعانيها العميقة في تفسير نفسيّة الفرد الجزائري وتأثير العوامل الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية على تفكيره وتصرفاته، وأيضا الرغبة في دراسة شكل من أشكال الأدب الشعبي في الجزائر للتعريف به وإيلائه الأهميّة التي يستحقها.

أما عن إشكالية البحث فتتمحور حول المضمرات التي يمكن أن يخفيها خطاب النكتة الشعبية وما لهذه المضمرات من علاقة بخلفيات قد ترتبط بالبنية اللاواعية في الفكر الشعبي الجزائري، أو بتلك السلطة العرفية والإجتماعية التي تصبح فاعلة في نمط التفكير، أو الحكم على الأشياء والمواقف، أو غيرها من المضمرات لا يقصدها الرّاوي ولا ينتبه إلى حضورها ضمن ما يرويه من نكت، لكنها في الواقع تقبع في الظل وتمارس سلطانها بطريقة أو بأخرى ويمكن أن نفرع هذه الإشكالية ضمن التساؤلات التالية:

- ما الذي تكشفه لنا مختلف مواضيع النكتة من تنوع في المضمرات النصية؟
- ما هي الأنساق المضمرة التي يمكن أن تتجلى داخل خطاب النكتة الذي حاول التعرض لمحطات هامة ودقيقة من حياة الشعب الجزائري، فمنها ما يتعلق بالآلام أو الهموم ومنها ما يرتبط بالطموحات والأحلام؟
- ما الذي تبرزه هذه الأنساق ضمن ما تقوم به النكتة من وظائف مختلفة ترفيهية وتعليمية ونفسية أو جمالية؟

والهدف من ذلك هو ما يلي:

- تحليل وتفسير النكتة الشعبية الجزائرية وقراءة مضمراتها النصية.
- كشف الجوانب الخفية منها مع التركيز على أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينيّة.
- كشف العلاقة بين الضحك واللاّوعي والمخيال الشعبي للوصول إلى الجوانب العميقة في شخصية الفرد الجزائري.

للإجابة عن هذه الأسئلة والوصول إلى الأهداف السابقة، اعتمدنا خطة بحث متمثلة فيما يلي:

مدخل عنوانه مفاهيم نظرية حول الأدب الشعبي والنكتة الشعبيّة، نعطي فيه فكرة عن مفهوم الأدب الشعبي وعن النكتة الشعبية كشكل من أشكاله. وفصل أول عنوانه النقد الثقافي (المفهوم، التطور والأسس النقدية) تناول مفهوم النقد الثقافي ومراحل التطور التي مرّ بها على يد المفكرين الغربيين والعرب على السواء، ومجهوداتهم القيّمة في وضع مرتكزات هذا المنهج، وفصل ثانٍ عنوناه الأنساق الثقافية المضمرة في النكتة الشعبية الجزائرية. حاولنا فيه الكشف عن أهم الأنساق الثقافية المضمرة في النكتة الشعبية الجزائرية وتأثيرها في طباع وتصرفات الإنسان الجزائري. من هذه الأنساق الثقافية المضمرة ما يلي:

- نسق الفحولة
- نسق السخريّة
- نسق الصراع والهيمنة
- نسق التناقض
- نسق الرفض
- نسق العنف

وأتبعناه بخاتمة خلصنا فيها إلى دور النكتة الشعبية في التأثير على الإنسان الجزائري وحياته السياسية والثقافية والإجتماعية ودور منهج النقد الثقافي في إزالة وكشف الغموض وترجمة أمال وآلام الفرد الجزائري في خطاب النكتة الشعبية الجزائرية.

اعتمدنا في دراستنا على منهج النقد الثقافي دون غيره لأنه يتناسب مع طبيعة النكتة الشعبية ويمتلك الإجراءات اللازمة لكشف خباياها ومكنوناتها.

من المراجع والمصادر التي اعتمدناها في دراستنا ما يلي:

كان مصدرنا الأول والأساسي هو جمع النكت الشعبية الجزائرية من أفواه الناس على اختلاف أعمارهم الزمنية والفكرية في المجالس العائلية والأصدقاء. يليها بعض المراجع التي تناولت موضوع النكتة الشعبية أهمها:

كتاب " النكتة السياسية عند العرب لهشام جابر". وبحث عنوانه " النكتة الشعبية ودورها في التنفيس عن هموم المجتمع لنصيرة ريلي ". ومقال في هذا الموضوع حول " النكتة الشعبية وشعبيّة النكتة الفيسبوكية لفطيمة الزهرة عاشور".

بالإضافة إلى مراجع أخرى تتعلق بالنقد الثقافي نذكر منها: كتاب النقد الثقافي دراسة في الأنساق الثقافية لعبد الله الغذامى.وكتاب النقد الثقافي لآرثر إيزا برجر. وكتاب الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق لمحمد سعيدي.

من الصعوبات التي واجهتها هذه الدراسة هو المنهج في حد ذاته " النقد الثقافي" فليس من السهل تطويعه، فكونه يبحر في مجال الثقافة الواسع والمتنوع يحتاج إلى مدة كافيه لدراسته وفهمه قبل استخدامه. فالنكتة الواحدة قد تحمل عدّة أنساق ثقافية مضمرة يصعب اختيار النسق المناسب لإدراجها فيه.

رغم الصعوبات التي واجهت الدراسة في كيفية الكشف عن الأنساق المضمرة وضبطها والتعبير عنها بأسلوب علمي، إلا أنَّ الأستاذة المشرفة الدكتورة "**فوزيّة براهيمي**" كانت عونا وسندا في تجاوزها. لذا أوجه لها شكري وامتناني على صبرها وتقديمها يد العون دون كلل أو ملل، وعلى مجموعة المراجع التي قدمتها من أجل هذه الدراسة مرفوقة بنصائح قيّمة.

مدخل:

مفاهيم نظرية حول الأدب الشعبي والنكتة الشعبيّة

تمهيد:

لا يمكن تصوّر المرء قادرا على التملص من ماضيه وجذوره إلا إذا أصابه مرض فقدان الذاكرة، فمن لا ماضي له لا حاضر ولا مستقبل له. والأدب الذي هو نتاج الإنسان حاله هو حال صانعه، أوجب علينا المحافظة على تراثنا الشعبيّ، ومن هنا بدأ المفكرون يهتمون بدراسة المأثورات الشعبية أو ما يسمى بالأدب الشعبي، لما له من تأثير على حياة وتفكير الفرد وانعكاسه على الجماعة الشعبية.

1. مفهوم الأدب الشعبي

يتكون الأدب الشعبي من مصطلحين: "أدب" و "شعبي"

أ. **الأدب**: هو تلك الآثار والمؤلفات الكتابية أو الشفوية، شعرا أو نثرا، تقدم على يد مفكرين وكتّاب يمتلكون ملكة الكتابة وفنيّاتها والقدرة على صياغة الجمل والعبارات والنصوص بصورة جمالية ولمسة إبداعية.

ب. **الشّعبي**: وهو ما صدر عن الجماعة الشعبية من مأثورات ومعتقدات وثقافات وعادات وتقاليد وأعراف.

تعددت الاتجاهات في وضع تعريف محدّد للأدب الشعبي فكلّ يراه وفق منظوره الخاص لكنّ البعض منهم يشيرون إلى أنه مجهول المؤلف حيث يقول "حسين نصّار":" الأدب الشعبي هو الأدب مجهول المؤلف، عامّي اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرّواية الشفوية"[1].

وآخرون يذهبون إلى أنّ من الأدب الشعبي ما هو معروف المؤلف من قصص وحكايات وأشعار المؤلفين "فكثير من الأدباء الشعبيين وخاصة الشعراء منهم معروفين بإنتاجهم وبأسلوبهم حيث نعرف ونقرأ لفحول الملحون، كمصطفى بن ابراهيم ونقرأ للمنداسي لابن مسايب وغيرهم ..."[2]

من أجل هذا السبب ولغيره اختلف مفهوم الأدب الشعبي بين الأدباء والمفكرين فكل يراها حسب ما وصل إليه من بحوث واستنتاجات.

والأدب الشعبي لأي بَلَد هو بمثابة بطاقة هوية، تحمل أصول الشعب وتاريخه وانتماءه الحضاري، كما تحافظ على عاداته وتقاليده وثقافته الشعبية للأجيال اللاحقة.

من هذا المنطلق انكبّ المفكّرون والباحثون على جمع تراثهم الشعبي ودراسته دراسة أكاديمية، وتدوينه في مؤلفات لحمايته من التلف والاندثار، كما توسّعت أبحاثهم إلى دراسة المأثورات الشعبية لشعوب أخرى غير شعوبهم بهدف العلم والمعرفة والبحث العلمي الأكاديمي أو لأهداف استعمارية يراد بها دراسة هويّة شعب ومعتقداته للسيطرة عليه، وهذا ما حدث أيّام الاستعمار الفرنسي حين جنّد ضباطا فرنسيين وباحثين في أوساط الشعب الجزائري في القرى والمداشر ليجمعوا ما أمكن من معلومات حول حياة الجزائريين ومعتقداتهم وطريقة تفكيرهم، وما يؤمنون به من عادات وتقاليد، هدفهم في ذلك الهيمنة والسيطرة على الشعب الجزائري.

[1] سعيدي محمد، الأدب الشعبيّ بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1998، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص10.

اهتم الباحثون الجزائريون بالتراث الشعبي الجزائري فقدموا دراسات قيمة ومؤلفات ثمينة للارتقاء بالأدب الشعبي الجزائري والمحافظة على أشكاله المتنوعة جيلا بعد جيل. " فالأدب الجزائري كغيره من أدب الأمم الأخرى، يمتاز بالتعددية من حيث أشكاله التعبيرية (عربية فصحى، لغات أجنبية، لهجة محلية، قصة، شعر ملحون، حكاية شعبيّة، ألغاز، نكت، أمثال، سير، الخ...."[1]

ومن الأشكال التعبيرية التي وجدت رواجا كبيرا في عصرنا "النكتة " يتداولها العام والخاص شفويًّا أو كتابيًّا وحتى على مواقع التواصل الاجتماعي، وكانت إلى حد كبير، متنفس المهموم ومضحكة الجماهير، والأهم أنها كانت وما زالت مرآة المجتمع بآلامه وآماله وهمومه وأحزانه في كلّ مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

2. مفهوم النكتة الشعبيّة

أ. لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور: " فنكته: أي ألقاه على رأسه فانتكث هو ... ونكت في العلم، بموافقة فلان، أو مخالفة فلان:: أشار؛ ومنه قول بعض العلماء في قول أبي الحسن الأخفش: قد نكت فيه، بخلاف الخليل. والنكتة كالنقطة، وفي حديث الجمعة: فإذا فيها نكتة سوداء أي أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما. والنكتة: شبه وقرة في العين"[2].

فالنكتة في لسان العرب بعيدة عن معناه في هذا العصر حيث لخص معناها في معاني عديدة: كألقاه على رأسه أو أشار لفلان أو النقطة السوداء أو شبه الوسخ في شيء لامع أو هي وقرة في العين.

وجاء في منجد الطّلاب ما يوافق لسان العرب في أنه:"[نكت – نكتا] الأرض بقضيب أو بإصبعه... العظم: أخرج مخه – فلانا ألقاه على رأسه.

[النكتة] النقطة السوداء في الأبيض أو البيضاء في الأسود...نكتٌ ونكِاتٌ [النكتة] أيضا شبه الوسخ في المرآة والسّيف ونحوهما ... الجملة اللّطيفة تؤثر في النفس انبساطا. [النكات] الطّعان في الناس، الذي يجيء بالنكت في كلامه"[3].

يشير منجد الطلاب بالإضافة إلى معاني نكت كما جاء في لسان العرب إلى أن النكتة هي الجملة اللطيفة التي تبسط النفس وتنشرح لها وأن النّكات هو الذي يلقى النكتة في كلامه.

ب. اصطلاحا

تعرّف النكتة باعتبارها شكلا من أشكال الأدب الشعبي بأنها: "حكاية أو أحدوتة قصيرة أو طويلة تحكي نادرة

[1] سعيدي محمد، المرجع نفسه، ص2

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2015، ج 1، مادة: نكت ص 650.

[3] الأب معلوف، منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، ط 27، مادة نكتَ، ص832-833.

أو مجموعة من النوادر المسلّية والمنسجمة وتؤدي إلى موقف فكاهي مرح، فهي تستقي مادتها الخام من الواقع الملموس، وموضوعها غالبا ما ينحصر في تصوير نشاط النّاس اليومي"[1].

يعد هذا التعريف بناء مبسّطا وشرحا مختصرا لهيكل النكتة. غير أن المفكّرين الغربيين والعرب على السواء يذهبون في مفهومها إلى أبعد من هذا. ومن هنا ندرج عدة مفاهيم للنكتة الشعبية:

يُعرفها مصطفى عطية جمعة بأنها " وسيلة التعبير الرئيسية بل هي لسان حال عندما يعاني الفرد / الشعب من الكبت والقهر السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وهنا تتخذ النكتة شكل محاولة قهر القهر وبالأدق مواجهة القهر بالضحك"[2].

كأنّ الكاتب يوافق المقولة " شر البلّية ما يضحك" فالفرد أو الشعب على حد سواء، يصور واقعه المرير وهمومه في قالب فكاهي مضحك هدفه إمّا الهروب من معاناته أو التعبير عنها دون الإفصاح عما يختلج في نفسه من آلام لمخاوف يُحسّها، وفي تعبير فرويد فالنكتة " تتيح لنا استغلال ظاهرة مضحكة في خصمنا لا نقوى على كشفها جادّين معتمدين لما يعترض سبيلنا من عقبات"[3].

ويقصد فرويد في هذا النكتة المتعلقة بالجانب السياسي فالشعب لا يستطيع مواجهة الحكّام والسياسيين فيلجأ إلى النكتة للتعبير عن أوضاع سلبيّة بأسلوب هزلي.

3. سمات النكتة الشعبيّة

بالإضافة إلى سمات النكتة المعروفة من إضحاك وقصر عبارتها وتعبيرها الشفوي المتوارث، فإنّ لها أبعادا عميقة في نظر المفكّرين الذين اهتموا بهذا الشكل الأدبي الشعبي، فهم يتفقون على كونها مصدرا للضحك باعتباره نعمة من نعم الله على عباده، و التي خصّ بها بني البشر دُونًا عن غيرهم من المخلوقات، إلا أن النكتة تحتاج إلى التحليل والتمحيص لتبلغ غايتها فعلى سبيل المثال هنري برغسون وهو أحد وأهم المفكرين في تحليل ظاهرة الضحك وأسبابه توصل " إلى مبدأين هما: الصلابة والاسترخاء، فهو يرى أن الحياة مرنة طيّعة، والهزل ينصبّ على ما هو صلب ومتكرّر"[4].

فالفرد في رأيه يختلف في حياته العاديّة عن حياته في المصاعب، وأن النكتة تخرج من رحم المتاعب والهموم والصّعاب.

وفي رأي صالح نصر "...لا مجتمع بلا نكتة ولا نكتة بلا سبب، ومن ثم فإنها تفسّر كثيرا من أخلاق المجتمع وسلوكه ومعتقداته وأمانيه ومتاعبه ورغباته ..."[5]

---

[1] سعيدي محمد، المرجع نفسه، ص65.

[2] نصيرة ريلي، النكتة الشعبية ودورها في التنفيس عن هموم المجتمع، مجلة اللغة الوظيفية، المجلد 9 العدد 2، ص794.

[3] هشام جابر، النكتة السياسيّة عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ص27.

[4] المرجع نفسه، ص24.

[5] نصيرة ريلي، المرجع نفسه، ص788.

فالنكتة حسب قوله جزء لا يتجزأ من المجتمع ولها مسبباتها فهي لم تخلق من لا شيء، وتحليلها يكشف الكثير من خبايا النفس البشرية من أفراح وأتراح وهموم وآمال وطبائع وصفات.

ويضيف صلاح نصر حول أهم سماتها بأنها:"... تنتشر في كل اتجاه، ولا جنسيّة لها، وليس لها نسب، ولا يستطيع أي كان الإمساك بها ومطاردتها أو تقديمها إلى العدالة بتهمة الشتم أو القدح، أو التحقير"[1].

فالنكتة في عصرنا تكون متداولة في المجتمعات بنفس الأفكار خاصة إذا كانت نفس الآلام والآمال لكن تبقى اللغة والأسلوب الفاصل بينها فالنكتة الشعبية الجزائريّة متميزة بمفرداتها المعبّرة والطريفة تجمع بين الفصحى والعاميّة والأجنبيّة وأسلوبها سلس سهل تدعُمُهُ أحيانا الإشارات بالوجه واليدين وتغيير نيرات الصوت، تزيد النكتة متعة وتشويقا وتسلية.

من سمات النكتة الشعبية أنها بمقدورها تجاوز الخطوط الحمراء وخرق التابوهات السياسية والدينية دون محاسبة أو ردع.

تتسم النكتة الشعبية بأسلوب غير مباشر، وفيه تضمر الكثير من الإيحاءات والإشارات التي تترجم رسائل مشفرة خفية تبدي رأيا معينا. حيث لا يجرأ النكات الشعبي " الإفصاح عنها بصيغة مباشرة تقريريّة خوفا من اللّوم والنقد، فجاء ظاهرها تسلية وسخرية، وباطنها سياسة تهدف إلى تقويض حكم قائم مستبد..."[2].

من سمات النكتة أيضا التنفيس عن الغضب والقهر الذي يحسّه المظلوم في مجتمعه حيث نجد " أن النكتة تعمل كماصة للصدمات، أو كمفرغة للحزن والقهر الجماهيرين"[3].

لقد اجتمعت آراء العدد من المفكّرين حول كون النكتة وسيلة تنفيس عن الهموم بالدرجة الأولى حيث يقول محمد سعيدي: " إنّ ظاهرها مرح وباطنها تنفيس عن كبت اجتماعي نفسيّ من جهة ونقد المجتمع وسلوك بعض البشر من جهة أخرى"[4].

ذلك أن النكتة عندما تسمعها تضحك وترفّه عن نفسك، لكن عندما تتمعنّ في باطنها تجد الألم والقهر واليأس، فيصبح المضمون معولا يدمّر به الشكل، " فالنكتة نصّ يدمر مضمونَهُ شَكله"[5]. وبهذا استحق للنكتة أن تكون موضوع دراسة وتحليل لكشف خباياها ومضمرها.

[1] نصيرة ريلي، المرجع السابق، ص788.

[2] المرجع نفسه، ص793.

[3] المرجع نفسه، ص794.

[4] سعيدي محمد، المرجع السابق، ص66.

[5] المرجع نفسه، ص82.

4. مقومات النكتة

كل مصطلح يحتاج إلى قواعد وركائز يقوم عليها تحدده، وتضبط شكله ومهامه. كذلك النكتة الشعبية فهي ترتكز على أربعة أركان أساسية هي[1]:

أ. **الإطار**: وهو الحيّز الذي يشمل مضمون النكتة والمجال الذي تدور فيه، فالنكتة يناسبها الفرح والتجمعات الأسرية ومجالس الأصدقاء أو الأسواق والمقاهي ومكان السهرات بغية التسلية والترفيه عن النفس بينما نتجنب إلقاءها في المساجد وأثناء الصلاة أو في الجنائز وأماكن الحزن.

ب. **الملقي**: وهو الذي يحكي النكتة (النكات) يحاول فيها إضحاك الناس بعفويّة يستعمل فيها مهاراته اللغوية والجسدية من إشارات وإيماءات ونبرات صوت، بطرق ذكية وطريفة لإيصال الرسالة إلى المستمعين، وتكون هزلية ساخرة ومضحكة. في أغلب الأحيان يكون النكّات موهوبا في إضحاك الناس وتسليتهم، وفي بعض الحالات فالنكتة إذا أحسن الملقى إلقاءها بعفويّة يصل إلى الهدف المطلوب، فكلنا نحكى النكت بين بعضنا البعض ونحقق التّسلية والترفيه.

ج. **المتلقيّ**: هو المستمع أو جمهور المستمعين في المجالس العامة والخاصة، وليتفاعل المتلقي مع النكت يجب أن يفهمها أو يكون منتميّا لتلك الجماعة الشعبية ليفهم لغتها ويتفهم الأحداث التي يسردها الملقى، كما أن للسّن دور كبير في تقبل النكتة، فما يضحك الشاب لا يضحك الشيخ، كذلك هناك عوامل أخرى تؤثر في تقبل النكتة وهي الحالة النفسيّة للمتلقي ومستواه الثقافي فالحزين والكئيب لن يكون مستمعا جيدا ومشجعا للنكتة، والنكتة إذا لم يفهم محتواها ومغزاها لا تحقق الهدف.

د. **نص النكتة**: تكون النكتة عموما قصيرة، بلغة سهلة من بيئة المستمعين حتى تصل إلى الفهم والقبول، وتبلغ غرضها في إضحاك الناس والترفيه عنهم.

النكتة لها وجهان، وجه يدعو للضحك والمرح والتنفيس عن النفس، ووجه آخر يدعو إلى التأمل والجديّة في التفكير والاستقراء يحتاج إلى الدراسة والعمل الجاد لاكتشاف خباياها ورسالاتها المشفّرة الناطقة عن حال بيئتها وهموم وآلام وآمال جماعتها الشعبية.

5. وظائف النكتة

تؤدى النكتة الشعبية في المجتمع وظائف عديدة هامة ترتبط بمعناها الظاهر ومعناها المضمر بحيث يرتبط كل منهما بالآخر لتحقيق هذه الوظائف. وتتلخص هذه الأخيرة فيما يلي:

أ. الترويح عن النفس والتنفيس عنها عن طريق الضحك والفكاهة والهزل ونسيان الهموم والضغوطات اليومية والحزن حيث تصور النكتة الشعبية شخصيات وتصرفات تثير فينا حالة من الضحك والاستمتاع كنوع من العلاج النفسي الطبيعي وكما قيل الضحك يطيل العمر ويبعد الهم والغم.

[1] نصيرة ريلي، المرجع السابق، ينظر.

ب. إنّ الاستماع إلى النكت الشعبية وسيلة ملحة خاصة في عصرنا، وهذا لمقاومة حالات الاكتئاب والقلق وخيبات الأمل وهو ما نكتشفه في جوانبها الخفيّة وبها يستطيع المجتمع " مقاومة الاكتئاب والقلق والغضب والإحباط"[1].

ج. يتعرض الإنسان داخل مجتمعه إلى نوع من القضايا لا يمكن تجاوزها خاصة السياسية منها وفي بعض الأحيان الاجتماعية فيلجأ إلى النكتة يعبّر فيها عن رفضه أو سخريته بأسلوب هزلي مضحك وبهذا يستطيع " التخفيف من وطأة بعض القيود الإجتماعية"[2] وكذا السياسية والاقتصادية.

د. إن تبادل النكت الشعبية بين أفراد المجتمع الواحد، كالإخوة والأصدقاء والأقارب والأهل وحتى في المجالس العامة كالمقاهي والاحتفالات تعزّز أواصر المحبة والتفاهم بين الناس وتخلق حولهم جوًّا من الفرح تنسيهم الحزن والهمّ، وبهذا تحقق النكتة وظيفتها وهي "تعزيز التماسك الإجتماعي بين الأفراد والجماعات" خاصة إذا رويت النكتة في حلقة كبيرة يجتمع فيها الناس كبارا وصغارا وقد استعمل القاص أو النكات نبرات صوته وإيماءات وحركات وجهه ويديه وجسده في إضحاكهم والتأثير فيهم.

هـ. يستغل الناس النكتة الشعبيّة في إظهار العيوب عن طريق السخرية من المواقف والأوضاع أو الشخصيات، وتكون إيجابية إذا كان الموضوع هاما ومفيدا وسلبية إذا كان غير ذلك. فالسخرية في مواضيع سياسيّة واجتماعية تهدف إلى التغيير الحسن خير من ذكر العيوب من أجل الضحك وفقط.

و. تعبر النكتة الشعبية عن الانتماءات والتوجهات السياسية والاديولوجية للأفراد والجماعات.

ز. تعدّ النكتة الشعبية من أهم أشكال الأدب الشعبي تجمع بين جمالية النص وفنيّة الصياغة ومتعة الاستماع.

ح. تتحدث النكتة عن جميع فئات المجتمع الكبير والصغير والمرأة والرجل وتصوّرهم في أوضاعهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية والدينية وإظهار طبائعهم بتناقضاتها واختلاف أفكارها. فجمعت العاقل والمجنون والمحتال والطيب، القبيح والحسن.

6. أنواع النكتة

تنوعت النكتة الشعبية من حيث موضوعاتها إلى عدة أنواع يمكن تصنيفها فيما يلي:

أ. **النكتة السياسية:** تمثل موقف الطبقة الشعبية من السلطة والحكام أو الوضع السياسي بصفة عامة مثل قضايا الفساد والظلم والاستبداد وقمع الحريات بأسلوب ساخر يخفي غضبا وسخطا ورفضا للأوضاع السائدة وفي بعض الأحيان تتجاوز النكتة السياسية الخطوط الحمراء بالتطرق إلى التابوهات السياسية بأسلوب غير مباشرة بغية الإفلات من العقاب أو المساءلة.

[1] شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، عالم المعرفة، الكويت، ص399.

[2] شاكر عبد الحميد، المرجع السابق، ص399

ب. **النكتة الاجتماعية:** تتناول العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد فهي تتحدّث عن الصراعات بين الرجل والمرأة، الزواج والطلاق الكنة والحماة، الآباء والأبناء، إضافة إلى قضايا اجتماعية أخرى هامة كالآفات الاجتماعية والفقر والصفات والطباع السيئة كالبخل والاحتيال والنفاق والخداع وغيرها.

ج. **النكتة الدينيّة:** تتناول التابوهات المتعلقة بالدين بنوع من الحذر وتحاول أن تكشف مظاهر التديّن التي تتسم بالزيف والخداع وتتصنع التدين في العبادات وتقديم الصدقات والمساعدات للمحتاجين بينما باطنه يحمل صفات معاكسة تماما لما يظهره، وهو ما يسمى بالنفاق الديني. فتجد الشخص متناقضا في أقواله وأفعاله وفي مرات نجده يريد بلوغ مصالحه الشخصية ورغباته الدنيوية باسم الدين والأمثلة على ذلك كثيرة.

فهناك من يصلى ليقول الناس هذا متديّن وهناك من يتصدق ويقوم بالأعمال الخيرية، واسم الله ورسوله على لسانه لأنه مقبل على انتخابات مرشح فيها...

د. **النكتة الأخلاقية:** تكون موضوعاتها حول الأخلاق وفي أغلب الأحيان تتحدث عن العلاقات المحرمة أو غير المشروعة خاصة الجنسية منها، فهناك من ينقدها بشدة وهناك من يحاول أن ينفّس عن مكبوتاته باستعمال عبارات وتلميحات جنسية، ويبقى هذا النوع من النكات من الموضوعات المحظورة خاصة عند الفئات التي تحرص على المبادئ والأخلاق الحسنة.

هـ. **النكتة التعليمية:** ظهرت أيضا نكات ساخرة تتناول المدرسة بما فيها المعلم والتلميذ والولي أيضا، تسرد تصرفاتهم ومواقفهم الطريفة كما تلمح لقضايا هامة في المنظومة التربويّة كعزوف التلاميذ عن الدراسة، عدم احترام المعلم ووقوف الآباء في أغلب الأحيان مع أولادهم ضد المعلم.

و. **النكتة الجهويّة:** هي النكتة التي تخص منطقة معينة وتشمل تصرّفاتهم وطباعهم وحياتهم من جوانب عديدة. فنسمع عن نكات وادي سوف أو نكات معسكرية وفي أحيان أخرى نسمع تسميات نكات شرقية، نكات صحراوية وغيرها من المسميات وقد تكون على مستوى الدول فنقول نكات عربية أو نكات جزائرية، نكات تونسية، نكات مصرية وأحيانا نكات غربيّة أو نكات أوروبية.

وقد صنفت النكتة بالإضافة إلى تصنيفها من خلال موضوعاتها ومضامينها إلى تصنيف آخر ذهب إليه فرويد حيث صنف النكت حسب دوافع الإنسان، "حيث يقسمها إلى نوعين، نكات بريئة ونكات غير بريئة"[1].

أ. **النكتة البريئة:** هي النكتة التي تهدف بالدرجة الأولى إلى إضحاك الناس دون التلميح إلى رغبات ومكبوتات خفيّة وتكون طريفة في شكلها ومضمونها، لا تتهجم على الآخرين ولا تتناول تابوهات سياسية أو اجتماعية أو دينية أو قضايا محظورة. غايتها الترفيه والاستمتاع والتنفيس عن النفس من أجل الطمأنينة والراحة النفسية.

[1] شاكر عبد الحميد، المرجع السابق، ص798.

ب. **النكتة غير البريئة:** هي النكتة التي تحمل نزعة خفية وغاية معينة ترتبط في أحيان كثيرة باللاوعي وهي وسيلة للتنفيس عن المكبوتات والرغبات المحظورة وتمرّد على السلطة والأخلاق. تستهدف شخصية معينة قد تكون سياسية أو اجتماعية أو دينية أو فئة من المجتمع. تتخفىّ غاياتها وأهدافها وراء الضحك والفكاهة لتقول ما لا يمكن قوله مباشرة خوفا من ردّة الفعل التي تكون في الغالب غير محمودة حسب التابوهات التي اخترقتها.

7. العوامل المؤثرة في النكتة الشعبية

تنطلق النكتة الشعبية من المجتمع والواقع المعاش بكل ما يحمل من أوضاع وظروف ومستجدات فهي بذلك تتأثر بعوامل عديدة نذكر منها:

أ. **اللغة:** إن اختيار مفردات لغوية بعينها تضفي طابقا جماليا وفكاهيا للنكتة. وعلى النكات أن يستعمل اللغة العامية أو المحليّة للفئة التي تستمع له حتى يبلغ غايته. فالناس إذا لم تفهم معاني المفردات التي يستعملها النكات فلا يحقق الفكاهة والضحك.

ب. **أسلوب الفكاهة:** إن استعمال لغة بسيطة ومفهومة تحقق عنصر الفكاهة ويفهمها الناس على اختلاف فئاتهم العمرية.

ج. **الأوضاع السياسية:** إن الأوضاع والمواقف السياسية التي نعيشها يوميّا كفيلة بخلق نص النكتة الشعبية، وتتمثل في إبداء رأي أو رفض موقف ما ونقده بأسلوب ساخر.

د. **الأوضاع الاجتماعية:** نعيش يوميا مواقف وسلوكات وتصرفات في جميع الميادين والجوانب الاجتماعية، مما يتيح للنكتة الشعبية التعليق على هذه القضايا أو السلوكات التي يبديها الأفراد من هذا المجتمع.

هـ. **الثقافة:** في ضوء التطور التكنولوجي والإعلام والانفتاح على الثقافات العالمية، فإن هذا يساعد في خلق موضوعات النكتة الشعبية وتطوير أسلوبها ولغتها ليسهل تداولها بين أفراد المجتمع الواحد وكذلك المجتمعات الأخرى.

و. **الإقبال على سماع النكتة الشعبية:** من أهم العوامل التي تطوّر النكتة الشعبيّة وتوفّر لها حيّزا هاما من الاهتمام والإقبال هو أن الشعوب أصبحت تهتم بالنكتة الشعبية على نطاق واسع لأنها اعتبرتها الملاذ الوحيد للتنفيس عن همومهم وإبداء رأيهم ورفضهم ونقدهم للأوضاع السائدة خاصة السياسية منها.

ز. **الاهتمام بالأدب الشعبي:** إن اهتمام المفكرين والباحثين بأشكال الأدب الشعبي جعل النكتة الشعبية تأخذ حيزا من هذا الاهتمام. فأخذت تجمع وتصنف وتدرس وتتداول بين شعوب العالم في ظل الغزو الثقافي والتكنولوجي.

8. مصادر النكتة الشعبية

كانت النكتة الشعبية قبل سنوات تتداول بين أفراد المجتمع في الجلسات العائلية والأحاديث الثانوية (بين اثنين) ويجهل مصدرها فإذا سألت أحدهم ما هو مصدرها يقول سمعتها من فلان وفلان سمعها من فلان وهكذا، أما

الآن فيمكن تحديد مصدرها من خلال الأماكن التي تنطلق منها أو الأوضاع التي يعيشها المجتمع، فتخرج من رحمها نكات تصوّر الوضع أو الموقف بأسلوب طريف وفكاهي. من هنا يمكن أن نجمل أهم الأوضاع والأماكن التي تصدر منها النكتة الشعبية وهي:

أ. **الواقع المعاش:** تعد حياتنا اليومية بكل تفاصليها وظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية مصدرا خصبا للنكتة الشعبية التي تأخذ من كل هذا مادتها الأولية وتبنى بها موضوعاتها المضحكة والهادفة.

ب. **التاريخ:** عند جمع الباحثين للقصص والنصوص التاريخية والمواضيع المتعلقة بالفولكلور فإن هذا سيتيح الفرصة لإيجاد نكت شعبية قيلت في زمن ما أو في فترة زمنية معينة تصوّر طريقة بعض الشعوب في الضحك والفكاهة والترفيه.

ج. **المقاهي:** تعد المقاهي الشعبية أحسن مكان لتداول النكتة الشعبية لأنها الأماكن التي ترتاح فيها الناس بعد يوم شاق من العمل، فيتبادلون أطراف الحديث حول همومهم وانشغالاتهم وللترفيه عن أنفسهم يدخلون روح الدعابة في أقوالهم. ويتذكرون النكت التي ترفّه عن أنفسهم أو تذكرهم بواقعهم.

د. **الصحف والمجلات:** كانت المجلات والصحف وإلى يومنا هذا تخصص الصفحات الأخيرة لسرد النكت المضحكة وقد يصاحبها رسم كاريكاتوريّ يساعد على عنصر الفكاهة والضحك.

هـ. **مواقع التواصل الاجتماعي:** أصبحت لمنصات التواصل الاجتماعي دور هام وفعّال في نشر النكت الشعبيّة بين أفراد المجتمع الواحد وكذا العالم، مرفوقة بصور وإشارات ورسوم تزيد من عنصر الفكاهة والضحك وحتى رسائلها المشفّرة تصل للقارئ بسهولة ويسر.

و. **الإذاعة والتلفزيون:** ساعدت الإذاعة في نشر النكتة الشعبية بين أفراد المجتمع الذين يستمعون إلى الإذاعة يوميا فالمسافر يشغل المذياع ليستأنس به في الطريق. وربة البيت في المطبخ تشغّل المذياع ليؤنسها ويرفّه عنها.

ز. **الرسائل القصيرة عبر الهاتف النقّال:** ظهر في الهواتف النقالة في الجزائر رقم 413 تتصل به فتستمتع بسماع النكت، أطلق على المحتوى "نكت سليم" يوميًّا.

يذهب العديد من الباحثين والمفكرين إلى أن المرأة هي من تميل إلى تلقي الفكاهة بدل إعطائها بينها الرجل يميل إلى خلق جوّ من الفكاهة بأقواله وأفعاله بطريقة عفويّة دون الميل إلى تلقيها أو إلقائها.

كما جاء في كتاب في جوف النكتة: " إن النساء يملن إلى تلقي الفكاهة أكثر من ميلهنّ لإعطائها أو إلقائها، بينما يميل الرجال أكثر إلى إبداء روح الدعابة، وحسن الفكاهة، أكثر من ميلهم إلى إبدائها وإلقائها وتلقيها من الآخرين"[1].

[1] ماثيو هيرلي، دانيال دانيت، رنيالد آدمز، في جوف النكتة لعكس هندسة العقل، ترجمة قيس قاسم العجرش، سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط 1، 2021، ص107.

من خلال هذا القول أن المرأة تحبّذ سماع النكتة وهذا لانشغالها الدائم ومهامها الكثيرة حتى ترفه عن نفسها وتأخذ قسطا من الراحة الجسدية عن طريق الراحة النفسية، بينما الرجل لا يحبّ سماع النكت وإلقاءها أو تلقيها فهو الذي يخلق المواقف والوضعيات التي تعكس روح الدعابة والمرح والفكاهة لديه عن طريق المزاح والتّسلية.

الفصل الأول:

النقد الثقافي والأنساق الثقافية

(المفهوم، التطوّر والأسس النقديّة)

تمهيد:

عرف الفكر النقدي ظهور تيّارات فكرية جديدة أطلق عليها تسمية تيارات ما بعد الحداثة، حيث أحدثت ثورة جديدة في مجالات الفكر والفلسفة، وأعطت معاني وتصورات مختلفة تماما عَمَّا جاء به تيار الحداثة حيث خالفت هذا الأخير في جوانب جوهريّة أهمها: الاهتمام بالهامش دون المركز، وتقديم قراءات متنوعة للنص من طرف المتلقي أو القراء إن صحّ القول. هذا ما مهد لبزوغ ما يسمى بالنقد الثقافي.

I. النقد الثقافي

مفهوم جديد النشأة مكوّن من شقين "نقد وثقافي" وقبل أن نعرّج إلى معناه ومفهومه الاصطلاحي، كان يجب أن نبين في عجالة مفهوم شقيه لغة واصطلاحا كل على حدى.

1. **النقد**: فالنقد **لغة** كما جاء في لسان العرب لابن منظور تضمن معان عديدة، منها:

- النقد والتنْقادُ: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها[1]:

-"ونقد الشيء ينقد نقداً إذا نَقَرَهُ بِإِصْبَعِهِ كمَا تُنْقَر الجَوْزَة" [2]

وفي مقام آخر نجده يضيف معنى آخر" في حديث أبي الدرداء أنه قال: إن نقدت الناس نَقَدُوك وإن تَرَكْتُهُمْ تَرَكُوكَ، معنى نَقَدتهم أي عِبْتَهم أو اغتبتهم قابلوك بمثله وهو من قولهم... ونقدته الحيّة، لدَغتُهُ"[3].

-أما في المعاجم الحديثة فقد أخذت معجما حديثا "منجد الطلاب" جاء فيه عن اللفظة "نقد" ما يلي:

[نقد – نقداً أو انتقادا] الدراهم وغيرها: ميزها ونظرها ليعرف جيّدها من رديئها.

– الكلام: أظهر ما به من العيوب والمحاسن...

-الطائر الفخّ أو الحبّ: ضرب فيه بمنقاره... " نقدته الحيّة، لدغته"[4].

أما **النقد اصطلاحا** فقد تعددت مفاهيمه وتباينت آراء المفكرين والناقدين في وضع تعريف محدد له، أمثال طه حسين وأحمد أمين وعبد السلام المسدي، فاخترت ما قاله أحمد أمين حيث يعرف النقد بقوله:

---

[1] أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم بن منطور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2015، ج2، مادة نقد، ص315.

[2] المرجع نفسه، ص316.

[3] المرجع نفسه، ص 316.

[4] الأب معلوف، منجد الطلاب، ضبطه فؤاد إفرام البستاني، دار المشرق، بيروت، الطبعة 27، مادة نقد، ص822.

- " وهو تقديم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبح"[1].

ويقول أيضا في تعريف آخر: "...استعراض القطع الأدبيّة لمعرفة محاسنها ومساوئها"[2].

حتى أن أحمد أمين يذهب إلى أبعد من هذا حيث يقارن بين ماهية النقد عند الغرب وعند العرب فيثني على الأول ويلوم الثاني حيث يقول: " فَلَمَّا قَرَأَت كتب النقد الانجليزية رأيت فيها محاولة كبيرة لتحويل النقد إلى علم منظم، له قواعد وأصول. في حين أن الكتب العربية التي ذكرتها لم تؤصل الأصول. وإنما كانت لمحات خاطفة في النقد، لا تروي الغليل"[3].

فقد كان الغرب السّباق لدراسة النصوص دراسات نقديّة موضوعيّة وهادفة، سبقوا العرب بأشواط طويلة، إلا أنّ هذا لم يمنع ظهور دراسات نقدية لنقاد عرب كانت ذات مكانة وأهميّة بارزة على الساحة الأدبية العربية والأجنبية أيضا، كالناقد عبد السلام المسدي من خلال أعماله العديدة أهمها كتابه "الأدب وخطاب النقد" و" في آليات النقد الأدبي" و"الأسلوب والأسلوبية" ولا نهمل في هذا المقام أعمال الدكتور شوقي ضيف النقدية ونذكر من مؤلفاته " في النقد الأدبي".

بالنسبة للشق الثاني "ثقافي" نسبة إلى لفظ ثقافة.

2. الثقافة

فهي **لغة** كما جاء في معجم لسان العرب تأخذ أكثر من معنى، لذلك اخترنا الشروحات الأقرب إلى موضوعنا:

" ثقف الشيء ثقفاً وثقافا وثُقُوفَة: حذقه... ويقال: ثقف الشّيء وهو سُرعة التّعليم، ابن دريد: تقفتُ الشيء حَذَفَتَه، وثَقِفْتُه إذا ظفرت به. قال الله تعالى: [فَإِمَّا تَثْقَفَنّهُمْ فِي الحَرْبِ].

وَثَقَفَ الرَّجُل ثقافةً أي صار حاذقا خفيفًا مثل ضَخمَ فَهُوَ ضخمٌ، ومنه الْمُثاقَفَةُ"[4].

[1] أحمد أمين، النقد الأدبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992، ص7.
[2] المرجع نفسه، ص7
[3] المرجع نفسه، ص01.
[4] ابن منظور، لسان العرب، ج 3 مادة " ثقَفَ" ص922.

وفي معجم "منجد الطلاب" فإن الثقافة لغة لا تختلف عن غيرها من المعاجم، فلفظة ثَقِفَ كما جاء فيه:

" ثَقِفَ، ثَقُفَ، ثَقْفاً، ثَقَفاً وثقافةً". صار حاذقا خفيفا فهو " ثَقْفٌ وثَقُفٌ وثَقِفٌ وثقيفٌ"[1].

ويشير المعجم إلى معنى الثقافة كمصدر فيقول: "م ص. الحذق. حسن التهذيب. تقويم القوى العقلية على طريقة متوازية. تهذيب الشخصية الإنسانية والسّير بها إلى أقصى درجات الكمال الممكن"[2].

إن هذا الشرح الأخير في مفهوم الثقافة يجعله في معناه اللغوي يقترب إلى المعنى الاصطلاحي للكلمة، كون أن الثقافة تؤثر على الشعوب والأفراد بمعنى أوضح في شخصياتهم وسلوكاتهم وقواهم العقلية وهذه الميزات تؤدي إلى التحضّر والتطور(الحضارة).

الثقافة إصطلاحا

لقد اخترنا تعريفين اصطلاحيين لمفهوم الثقافة، عند أحد المفكرين الغربيين (تايلور) وعند المفكر الجزائري (مالك بن نبي).

فمفهوم الثقافة عند تايلور هي " ذلك الكلّ المتكامل الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاقيات والقوانين والأعراف والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع"[3].

فهي في نظر تايلور ذلك الكمّ الهائل من العلوم والصفات والمعتقدات والتقاليد والموروثات والقوانين التي تضبط الأفراد داخل الجماعة (في المجتمع) أي شرط أن لا يكون منفردا وحيدا. كأنّ الثقافة مرآة للفرد كعضو في المجتمع يرى فيها نفسه بكل محاسنها ومساوئها وحقيقتها وزيفها وضوابطها ولهوِهاَ.

أما في نظر المفكر الجزائري مالك بن نبي فالثقافة " هي مجموعة من الصفات الخُلُقِيّة والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريًّا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط"[4].

يرتبط تعريف مالك بن نبي للثقافة بثقافته الإسلامية وانتماءاته الفكرية المشبعة بتعاليم الدين الإسلامي.

---

[1] الأب معلوف، المرجع السابق، مادة " ثَقَفَ، ص64.

[2] المرجع نفسه، مادة ثقف، ص64.

[3] قماري ديامنتة، النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2012-2013، ص7.

[4] المرجع نفسه، ص7

II. مراحل تطور النقد الثقافي

إن الإرهاصات والتطورات التي شهدها العالم في مجال الفكر وحقوله الإجتماعية والنفسية والفلسفية والإقتصادية والسياسية وغيرها .. خَلقت تيارات فكريّة غربيّة وسار في ركبها المفكرون العرب سمحت بتزاوج النقد مع الثقافة ليظهر على الساحة الفكرية العامة والأدبيّة خاصة مولود جديد سمّي **بالنقد الثقافي** فهو مصطلح حديث النشأة ظهر عند الغرب تم تبعهم العرب.

حيث يقول الدكتور سمير خليل: " إن مصطلح النقد الثقافي لم يتبلور واقعيًّا إلا مع الناقد الأمريكي (فنست ب. ليتش) الذي أصدر سنة 1992 كتابا قيّما في هذا الشأن وهو من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظريات الأدب لما بعد الحداثة "[1].

لقد نشأ هذا المصطلح وبدأ يتطوّر وتتّضح معالمه عند الغربيين أتباع تيارات ما بعد الحداثة، ولهذا سيكون حدثينا بداية عن النقد الثقافي عند الغرب.

1. النقد الثقافي عند الغرب

أظهرت الأعمال والدراسات النّقدية أن بدايات النقد الثقافي بدأت بأعمال الألماني (تيودور أدورنو) في مقال كتبه سنة 1949 عنوانه "النقد الثقافي والمجتمع" وهو من رواد مدرسة فرانكفورت، وكان يرى النقد الثقافي بأنه: "مفهوم برجوازيّ أنتجه المجتمع الاستهلاكي، فهو يحوّل الثقافة أنتجه إلى سلعة"[2].

ثُمَّ توالت الدراسات وابتُكرت مفاهيم جديدة حول هذا المصطلح من قبل تيارات ما بعد الحداثة، وكلّ أدلى بدَلوهِ حسب مجال تخصصه ودراسته، حتى عام 1988 ظهرت دراسة للمؤرخ الأمريكي نهيدن رايت عنوانها "بلاغيات الخطاب" وهي مقالات في النقد الثقافي، ومنها اكتمل نمو هذا الأخير ونضجت ثماره عام 1992 على يد الناقد الأمريكي ليتش في كتابه النقد الثقافي (كما أشرنا إليه سابقا).

يظهر لنا جليًّا أن النقّاد الغرب كانوا سبّاقين إلى وضع مرتكزات وخصائص ما سمي بالنقد الثقافي وبالتحديد بأمريكا وفرنسا، وتبعتهم دول أوروبيّة عديدة برز فيها نقاد عديدون نهجوا هذا المنهج كل بطريقته الخاصة وحسب نظريّته التي يتبنّاها وأقصد بهذا نظريات ما بعد الحداثة. ذلك أن النقد الثقافي لم ينشأ هكذا فجأة وإنما ولد من رحم هذه النظريات وتأثّر بالجوانب الاجتماعية والنّفسية والانتروبولوجيّة والسياسيّة ... وغيرها كما زامَن مقتضيات وحاجيات العصر أو الفترة الزمنية الراهنة.

---

[1] سمير خليل، النقد الثقافي، دار الجواهر، بغداد، د س، ص11.

[2] يوسف عبد الله الانصاري، النقد الثقافي، جامعة أم القرى، السعودية، 2008.على الموقع: https://adab.arabepro.com/

فما جاء في سبعنيات القرن ليس نفسه في الثمانينيّات وليس هو في التسعينيّات، ذلك أن كل فترة زمنيّة لها خصائصها وارهاصاتها ومستجدّاتها وخصوصياتها واديولوجيّاتها، كذلك أن البيئة الاجتماعية لها سلطة وتأثير على ما يقال في مجال النقد الثقافي، ذلك أن المجتمعات تختلف عن بعضها، فالمجتمع الفرنسي يختلف عن الأمريكي وعن الروسي من حيث البنية التحتية ومعتقداته وثقافته الرسميّة والشعبية وعاداته وأفكاره، نفس الشيء مع المجتمعات الأخرى..

لكن كلّها تصبّ في كون النقد الثقافي منهج جديد متجدد ثائر ضد أفكار تيار الحداثة، يبحث في أعماق النص ليكتشف الظاهر والخفيّ والمعلن والمستتر مستخرجا أنساقا ثقافية مضمرة تترجم توجهات وأفكار، مهملا إلى حدّ ما جماليات النّص ولغته، كالغُواص الماهر يغوص في أعماق البحار والمحيطات ليكتشف ما تزخر به وما تخفيه.

من هذا المنطلق سنأخذ على سبيل المثال مفهوم النقد الثقافي عند العديد من النقاد الغربيين وتصوّرهم حوله:

- يقول أرثر أيزابرجر: " النقد الثقافي لا يدور فحسب حول الفن والأدب وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، وإنما لأنّه يشكّل أيضا هذه النظم...."[1]

نذكر أسماء أخرى ساعدت في دراسة النص بهذا المنهج وكان لها السبق أمثال الأمريكي تشارلز بيرس "الّذي حدد مكونات النقد الثقافي" وحسب رأيه فإنّه يرى " مقاربة النص تمرّ عبر قنوات أو مستويات ثلاث هي: المستوى البنيوي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي" . وسار على هذا الأمر فوكو.

هناك منظرون آخرون لهذا المنهج من عدة دول نذكر منهم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر[2] :

[1] آرثر ايزابرجر، النقد الثقافي، ترجمة، ص78.

[2] يوسف عبد الله الأنصاري، المرجع السابق، ينظر، ص 02.

فرنسا	أمريكا	روسيا	ألمانيا	انجلترا	سويسرا	النمسا
رولان بارت كلوديفي شتراوس فوكو جاك ديريدا جاك لاكان اندري بيزيليه	س إس بيرس شارمان رومان جاكبسون	ميخائيل باختين فلاديمير بروب	كارل ماركس ماركس فيبر	رايموند ستيوارت هول	دي سوسير كارل يونج	فرويد هرت هرتزج

2. النقد الثقافي عند العرب

إن احتكاك المفكرين العرب بنظرائهم الغربيين جعلهم يتأثرون بما جاء به هؤلاء، فساروا على منهجهم وخاضوا فيه، لأنّ الوضع العربي في تلك الفترة الزمنية كان يحتاج إلى هذا النوع من المناهج للدراسة والتمحيص والتأويل في فهم الذهنيّات وإيجاد مخارج وحلول للوضع الذي كان يعاني وطأة الاستعمار وقد سيطر على العديد من الدّول العربيّة، بصور عدة من احتلال تارة أو انتداب واستيطان تارة أخرى، خلق من خلاله نوعا من التبعيّة والهيمنة الأوروبية خاصة في مجال الفكر والمعرفة، فسهّل استغلالهم والتأثير على ثقافتهم وانتماءاتهم.

ولا يخفى علينا أن فكرة المستعمر مستمدة من تيار الحداثة الذي ينظر إلى الشعوب الأخرى بدونيّة وإذلال باعتبارهم أحسن الأجناس عرقا ومعرفة فجاء تيار ما بعد الحداثة لتكون أهدافه القضاء على هذه النظرة الدونية ورد الاعتبار للمهمشين من الشّعوب.

من هذا المنطلق نورد أسماء لروّاد عرب بزغ نجمهم في مجال النقد الثقافي، وندرج بعض آرائهم في هذا المفهوم.

يرى سعد البازغي وميجان الروّيلي أنّ " النقد الثقافي في دلالته العامة يمكن أن يكون مرادفا للنقد الحضاري كما مارسه طه حسين والعقّاد وأدونيس ومحمد عابد الجابري وعبد الله العروبي"[1]. وفي تعريف آخر

[1] قماري ديامنتة، المرجع السابق، ص9

يعتبران أنّ النقد الثقافي "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويعبّر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها"[1].

من هذين التعريفين نفهم أنّ النقد الثقافي لم يولد من العدم أو ينتمي إلى مكان معيّن بل هو فكر ظهر عند الغرب والعرب على السوّاء مع فارق في التوقيت، ومع مرور الزمن بدأت تظهر هويته وتتحدّد ملامحه ومنه تحدّد مصطلحه المرتبط ارتباطا وثيقا بمصطلح الثقافة بشموليتها واتساع مواردها المعرفية.

يعرفه أيضا الدكتور حفناوي بعلي في كتابه " مدخل في النقد الثقافي المقارن" بأنه: " نشاط وليس مجالا معرفيّا قائما في ذاته، وهو لا يدور حول الفنّ والأدب وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجماليّة والانتروبولوجيّة"[2].

ظهر على السّاحة العربية أسماء عديدة خاضت في هذا الميدان فأطلق عليهم اسم روّاد النقد الثقافي العرب أمثال: مالك بن نبي في كتابه «مشكلة الثقافة» عام 1959، وزكي نجيب محفوظ في كتابه «تحديث الثقافة العربية »، ومحمد عابد الجابري الذي كتب دراسات نقدية تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية عام 1985[3].

ولا نهمل كتابات ابن خلدون التي صنفت في عصرنا الحالي على أنها دراسات أنثروبولوجية نقدية وأصبحت تُدرّس في الجامعات الغربية المشهورة، بالإضافة إلى هؤلاء لا ننس عبد العظيم أنيس والناقد الفلسطيني الأصل أمريكي الجنسية إدوارد سعيد في مؤلفاته التي نذكر منها "الاستشراق"و "العالم والنص والناقد" وغيرها من الكتب النقدية، لنصل إلى أهم اسم في قائمة روّاد النقد الثقافي العرب ألا وهو عبد الله الغذامي صاحب الكتابات النقدية وأهمها كتاب "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية". فالنقد الثقافي في نظره هو " أداة حفر في جينيالوجيا المتن الثقافي الذي تؤلفه الثقافة نفسها، وتسوقه عبر قنوات كثيرة ومختلفة..."[4].

[1] قماري ديامنتة، المرجع السابق، ص09.

[2] المرجع نفسه، ص10.

[3] يوسف عبد الله الأنصاري، المرجع السابق، ينظر، ص 02.

[4] عبد الرحمان ابن اسماعيل، الغذامي الناقد، د ط، الرياض، السعودية، د س، ص32.

كما عرفه الدكتور يوسف عليمات في كتابه " جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي أنموذجا بأنه: "فرع من فروع النقد النّصوصي العام ومن ثمّ فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجليّاته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسميّ وغير مؤسساتي..."[1]

إن كل هذه التعاريف التي وضعت حول مفهوم النقد الثقافي تجعلك تهاب الخوض فيه وترى أن طريقه ليس سهلا، كالزئبق كلّما أمسكته تناثرت أجزاؤه وإذا تركته عادت والتحمت مع بعضها من جديد، فالنقد الثقافي وتطبيقه على النصوص يحتمل قراءات وتأويلات متعددة ويزيد في تنوّع هذه القراءات اختلاف الموطن والمكان والزمان وكذا الشعوب، فكلما أيقنت أنك تمكنت منه وتجلت نظرتك فيه، تعود أفكارك في التشتت من جديد وهذا يعد عند بعض النقاد تحقيق الهدف وعند البعض الأخر مأخذا من مأخذ وعيوب هذا النقد.

III. إجراءات النقد الثقافي

إن إجراءات النقد الثقافي غير واضحة المعالم لكونها قراءات تغوص في نصوص متنوعة (فنية وأدبية وتاريخية وسياسية...) لتكتشف الأنساق الثقافية المضمرة.

وكما جاء في كتاب الغذامي "النقد الثقافيّ" فإن الكشف عن الفعل النسقي يعتمد على عناصر أساسية في النص وهي:

1. **النقلة الاصطلاحية**[2]: تشتمل ستة أساسيات
   - أ. عناصر الرسالة (الوظيفة النسقيّة)
   - ب. المجاز (المجاز الكلي)
   - ج. التورية الثقافية
   - د. نوع الدلالة
   - هـ. الجملة النوعية
   - و. المؤلف المزدوج

[1] د/ يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، د ط، د س، ص34.

[2] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص63.

وحسب الغذامي فإن النقد الثقافي يرتكز على ما يسمى" بمرتكزات النقد الثقافي وهي الوظيفة النسقيّة والجملة الثقافية والتورية الثقافية"[1].

وهذه المرتكزات تقودنا إلى تخطى مراحل من النقد الثقافي حسب الغذامي وهي :

- مرحلة التشريح الداخلي.
- مرحلة الرصد الثقافي.
- مرحلة التأويل الثقافي.

IV. مفهوم الأنساق الثقافية

1. مفهوم النسق

أ. **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور أن نسَق: تعني " النسق من كلّ شيء، ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء...ابن سيّده: نسق الشيءَ نسقهُ نسقاً ونسّقه نظّمه على السّواء"[2].

ومن نفس المعجم فالنّسق: " ما جاء من الكلام على نظام واحد، والعرب تقول لطوار الحبل إذا امتدّ مستويا، خذ على هذا النسق أي على هذا الطّوار، والكلام إذا كان مسجّعا قيل له نسق حسن"[3].

أمّا ما جاء في معجم " منجد الطلّاب" :[نسَقَ – نَسْقًا] الدُّرّ ونحوه نظمه.

الكلام: عطف بعضه على بعض ورتّبه[4].

وفي في موضع آخر من نفس المعجم جاءت كلمة النسق بمعنى: "النّسَق " ما كان على طريقة نظام واحد من كل شيء، يقال: "جاء القوم وجاءت الخيل نسقا "[5].

ب. **اصطلاحا:** يقترب معنى النسق في المفهوم الاصطلاحي إلى المعنى اللغوي الذي جاء في لسان العرب لابن منظور حين يقول عنه أنه ما جاء من الكلام على نظام واحد، أي أنه يتميّز بالتناسق والتسلسل والانتظام على طريقة نظام واحد وهذا ما ذهب إليه ديسوسير حيث يرى النسق بأنه البنية أو النظام.

---

[1] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ينظر.

[2] ابن المنظور، المرجع السابق،ج4، باب نسق، ص243.

[3] المرجع نفسه، ص244.

[4] الأب معلوف، المرجع السابق، مادة (نسق)، ص791.

[5] المرجع نفسه، ص791.

لقد اختلفت آراء النقّاد الغربيين والعرب على السواء في وضع مفهوم واحد للنسق لذا سندرج تعريفا للناقد عبد الله الغذامي الذي قدم لنا صورة معينة لمفهوم النسق تساعدنا وتناسبنا في موضوع بحثنا.

يقول الغذامي: "النسق ذو طبيعة سرديّة، يتحرك في حبكة متقنة لذا فهو خفيّ ومضمر وقادر على الاختفاء دائما"[1].

الثقافي لغة واصطلاحا: قد سبق لنا وأن قدمنا مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا فيما سبق لذا سنعرج إلى مفهوم النسق الثقافي مباشرة.

2. النسق الثقافي (مفهوما ومصطلحا)

للمصطلح تعاريف عديدة إن لم نقل كثيرة حسب رأى النقّاد والمفكرين لذا ارتأينا أن نقدم مفهومين لهذا المصطلح: مفهوم لناقد غربي والآخر لناقد عربي.

فالأنساق الثقافية اصطلاحا حسب غريتس: "هي مجموعة من ميكانيزمات الضبط والتحكم مثل الخطط والوصفات الغذائية أو الطبيّة والتعليمات..."[2]

أمّا الغذامي فيعرفها بقوله: " الأنساق الثقافية هي أنساق تاريخيّة أزلية وراسخة وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج المنطوي على هذه الأنساق"[3].

V. أنواع الأنساق الثقافية

تنقسم الأنساق الثقافية إلى نوعين:

أ. **الظاهرة:** يقصد به المعنى الظاهر في النص، ويظهر جليًا من خلال المفردات والأساليب والصياغة النصية ويستطيع القارئ فهمه دون عناء.

ب. **المضمرة:** هو الجزء المستتر والمعنى الخفي في النص ونعبّر عنه في حياتنا اليومية بما بين السطور. هذا الجزء يحتمل قراءات وتأويلات عديدة حسب ما يراه المتلقي وليس ما يريده الكاتب. ويكشف المضمر بطريقة علمية وأكاديمية تحتاج الموهبة والدراسة والخبرة حتى تكون النتائج مقبولة أو مفهومة.

حيث يقول الغذامي في كتابه النقد الثقافي: " صار النسق المضمر هو الأصل الذّهني للخطاب الثقافي".

---

[1] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص79.

[2] مجلة الميدان للدراسات الرياضية الإجتماعية والإنسانية، سهام سلطاني، الأنساق الثقافية المضمرة في الحكاية الشعبية، المجلد الثالث، العدد التاسع، جامعة الطارف، 2020، ص201.

[3] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص79.

من الواضح من قول الغذامي أن محور الاهتمام في النقد الثقافي يدور حول الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي لأنّه يوصل المتلقي إلى ذهنيات المرسل وطريقة تفكيره وأهدافه أو غاياته، وهوما لا يظهر في الظاهر. لكنّ الغذامي في كتابه السابق الذكر يضع شروطا تتحقق من خلالها الوظيفة النسقيّة ذلك أن النسق حسب قوله يتحدّد عبر وظيفته وليس عبر وجوده المجرّد.

هذه الشروط حسب رأيه هي[1]:

أ. نسقان يحدثان معا وفي آن وفي نص واحد أو في ما هو حكم النص الواحد. (المقصود بالنسقان الظاهر والمضمر)

ب. يكون المضمر منها نقيضا ومضادا للعلني

ج. لا بد أن يكون النص جميلا... بوصف الجماليّة، وهي أخطر حيل الثقافة لتمرير أنساقها وإدامتها.

د. ولا بد أن يكون النص جماهريًّا ويحظى بمقروئيّة عريضة.

من هذه الشروط الأربعة يتبيّن لنا أن الغذّامي لا يرفض جمالية النص ولا يهملها بل يعتبرها جزءا مهما في دراسة الوظيفة النسقية والوصول إلى ما يسمى بالنقد الثقافي، ذلك أن النص يجب أن يكون جميلا مقبولا من قبل جمهور القراء والناقدين.

وهو قبل أن يكون ثقافياً كان خطابا أدبيّا يرتكز على اللغة التي كُتب بها (كلمة+ معنى) هدفه إيصال الرسالة من مرسلها إلى متلقّيها باحترافية ومصداقيّة واستحسان.

حتى أن الغذامي حين يتحدّث عن النقد الثقافي يصفه بأنه" أحد علوم اللغة وحقول (الألسنيّة) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه..."[2]

لكنّ النقد الثقافي يضيف إضافات هامة في تحليل النصوص غير مكتفٍ بجماليتها اللغوية بل يغوص في أعماقها ليكشف خفاياها.

VI. مرتكزات النقد الثقافي

سعى العديد من منظري النقد الثقافي لكشف الأنساق الثقافية المضمرة في النصوص، وفضح الاديولوجيات التي تريد الهيمنة والسيطرة، والاهتمام بالهامش الذي يمثل الطبقات المهمشة والأفراد المضطهدين كالمرأة والفقراء

[1] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص77،78

[2] المرجع نفسه، ص83.

والسود وغيرهم. أمثال ميشال فوكو وغرامشي وجاك ديريدا، وإدوارد سعيد، وعبد الله الغذّامي ويعد هذا الأخير من أبرز المنظرين العرب الذي قدّم أعمالا عديدة تبرز جهوده الجبارة في تحليل النصوص الأدبيّة بوصفها خطابات ثقافية وقد أسس للنقد الثقافي بوضع مصطلح جديد سمّاه النقلة الاصطلاحية كما أشرنا إليها سابقا والتي شملت ست أساسيات اصطلاحية سيتم شرحها فيما يلي:

1. مفهوم النقلة الاصطلاحية

هي المشروع الذي قدّمه الغذامي للانتقال من النقد الأدبي التقليدي القائم على القيمة الجمالية للنص وأساليبه، إلى توظيف الأداة النقدية التي تحمل أبعادا ثقافية وتعمل على كشف الأنساق الاجتماعية والسياسية والدينية المتخفية خلف النصوص. حيث يقول: " إنّ أعمال المصطلح النقدي الأدبي إعمالا لا يتسمى بالأدبي، ويتخذ له صفة أخرى هي الثقافي، يستلزم إجراء تحويلات وتعديلات في المصطلح لكي يؤدي المهمة الجديدة على ذاكرة هذا المصطلح"[1].

فالغذامي يسعى إلى إجراءات ينتهجها لتحليل النصوص الأدبية بوصفها فنًّا وأدبا إلى قراءتها كخطابات ثقافية لكشف المضمر فيها وفضح الرسائل المشفّرة التي يريد النص تمريرها.

2. أساسيات النقلة الإصطلاحية

تشتمل النقلة الاصطلاحية على ستة أساسيات اصطلاحية تشكل انطلاقة مهمة لمشروع الغذامي في النقد الثقافي وهي:

أ. **الوظيفة النسقيّة**: وتسمى أيضا عناصر الرسالة حيث يعتمد النموذج المتداول على ستة عناصر هي: "المرسل، والمرسل إليه، والرسالة التي تتحرك عبر السياق والشفرة، ووسيلة ذلك كله هي أداة الاتصال"[2].

وقد أضاف الغذامي تعديلا أساسيّا في النموذج سمّاه العنصر النسقي فعدّ العنصر السابع في النموذج. ممّا يجعل للرسالة بأن تكون " مهيأة للتفسير النسقي...في هذا الإجراء ستكتسب اللغة وظيفة سابعة هي الوظيفة النسقيّة".

[1] عبد الله الغذّامي، المرجع سابق، ص62.
[2] المرجع نفسه، ص64-65

تتيح الوظيفة النسقية التحوّل الذي يريده الغذامي للانتقال من النقد الأدبي إلى النقد ببعده الثقافي، وتصبح وظائف اللغة سبعًا بعد إضافة الوظيفية النسقيّة وهنّ كالتالي[1]:

- ذاتية / وجدانية (يركز الخطاب على المرسل)
- إخبارية / نفعيّة (يركز الخطاب على المرسل إليه)
- مرجعيّة (التركيز على السياق)
- معجميّة (التركيز على الشفرة)
- تنبيهيّة (التركيز على أداة الاتصال)
- شاعرية / جمالية (تركز الرسالة على نفسها)

ب. **المجاز والمجاز الكلي**: إن المعنى المتداول في اللغة أن المجاز هو قيمة بلاغية تتعلق بجمالية اللفظ في اللغة، واستخدام هذا اللفظ في معنى حقيقي يقصد منه معنى آخر مجازي، وقد استعان به الغذامي في مشروعه ليكون مفهوما كليّا يحوي الأبعاد النسقيّة حيث يعرفه بقوله: " مفهوم المجاز الكلي متصاحبًا مع الوظيفة النسقية للغة، والاثنان معا مفهومان أساسيان في مشروعنا في (النقد الثقافي) كبديل نظري وإجرائي عن النقد الأدبي"[2]. فالغذامي لم يخترع مفهوم المجاز وإنما وسع مفهومه لينتقل من النقد الأدبي الجمالي إلى النقد الثقافي.

ج. **التورية الثقافية**: التورية من المصطلحات البلاغية التي تزخر بها لغتنا وتتميّز بها، وهي نوع من أنواع المحسنات البديعية في البلاغة تستعمل لإيصال معنى بعيد عن المعنى الظاهر. وهذه الصفة جعلتها أداة مفيدة في النقد الثقافي بالنسبة للغذامي فيقول أن التوريّة تقوم على " الازدواج الدلالي بين بعيد وقريب، وهو الازدواج الذي نسعى بواسطته إلى تأسيس تصوراتنا عن حركة الأنساق الثقافية في بعديها المعلن والمضمر"[3].وبالتالي أضاف إلى المصطلح لفظة الثقافية ليطلق عليها في مجال النقد الثقافي" التورية الثقافية".

[1] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص66.
[2] المرجع نفسه، ص69.
[3] المرجع نفسه، ص70-71.

د. **نوع الدلالة:** عرف النقد الأدبي في تحليله للنصوص نوعين من الدلالات هما: الدلالة الصريحة المرتبطة بالجملة النحوية ووظيفتها في النص، والدلالة الضمنية المرتبطة بالوظيفة الجمالية للغة، ليضيف الغذّامي دلالة أخرى سمّاها الدلالة النسقية وهي " ذات بعد نقدي ثقافي، وترتبط بالجملة الثقافية"[1].

فالدلالة النسقية تسعى للكشف عن العيوب والجوانب السلبية المتخفية وراء جمالية النص وتبحث عن النسق المضمر عبر الثقافات والأزمان لتصل إلى دلالات أعمق أو دلالات جديدة لم يصل إليها النقد الأدبي، في فهم الاديولوجيات المتخفية وتحليل الخطابات المعقدة بهدف تغيير الوعي والتأثير على سلوك الفرد والجماعة.

هـ. **الجملة الثقافية:** تسمى أيضا الجملة النوعية وقد ربطها الغذامي بالدلالة النسقيّة كما كان الحال مع الدلالتين السابقتين، فالدلالة الصريحة تسند إلى الجملة النحوية والدلالة الضمنية تنشأ وتتولد من الناحية الجمالية الأدبيّة ليجعل " الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسّقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة"[2].

فالغذامي جعل للوظيفة النسقيّة مولودا يسمى الجملة الثقافية التي تفضح الخفي وتكشف المستور في تحليل النصوص وتفكيك الخطابات.

و. **المؤلف المزدوج:** يذهب الغذامي إلى القول بأن النصوص التي نقرأها أو ننتجها تحمل مؤلفين اثنين "أحدهما المؤلف المعهود ... كالمؤلف الضّمني والنموذجي والفعلي، والأخر هو الثقافة ذاتها، أو ما أرى تسميته هنا بالمؤلف المضمر"[3].

فحسب رأي الغذامي أن النص في مفهوم النقد الثقافي يجب أن يخضع إلى النقد الذي يتكشف من ورائه حيل الثقافة. كما يسميها في إزاحة الأقنعة وفضح الاديولوجيات لكشف الأنساق الثقافية المضمرة لهذا السبب فازدواجية المؤلف هو حتمية وضرورة ملحّة لإنجاح المشروع (النقد الثقافي).

[1] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص73

[2] المرجع نفسه، ص74

[3] المرجع نفسه، ص75.

من هذا المنطلق عقدنا العزم على تقديم دراسة متواضعة للأنساق الثقافية مركزة على المضمرة منها في النكتة الشعبية الجزائرية لإبراز أهم الأنساق الخفيّة والهامة في حياة شرائح مختلفة من المجتمع الجزائري حسب مسار زمني مر بها هذا الأخير سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي من أواخر السبعينيات إلى يومنا هذا.

حيث نسلط الضوء على حياة الشعب الجزائري بمختلف طبقاته الاجتماعية وشرائحه العمرية (صغارا أو كبارا، نساء أو رجالا، شيوخا أو عجائز).

الفصل الثاني:

دراسة الأنساق الثقافية المضمرة

في النكتة الشعبيّة الجزائرية

تمهيد:

كبرنا ونحن نسمع من حين لآخر نكتا ظريفة مضحكة نتداولها بين بعضنا البعض ونحكيها بين أهلنا وأصدقائنا أو زملائنا بالمدرسة وفي كل مرة ننفجر ضحكا من غباء الشخصية التي تتضمنها النكتة أو من سذاجتها أو قدرتها على الاحتيال...وغيرها في الصفات التي تميّز الشخصيّة، ونشاهدها يوميا في مجتمعنا. لكن لم يتبادر إلى أذهاننا أن هذه النكت تحمل بين سطورها خطابات خفية تترجم ثقافة شعب وانتماءه وقراءة جادّة لعقليته وما تختزنه من مواقف وأهداف وغايات.

إن هذه النكت المضحكة تتنوّع وتتميّز باختلاف المجتمعات وتبدّل أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما يلفت الانتباه أثناء جمع النكات أو تذكر بعضها الآخر. فقد خلصنا إلى أنّ فترة الثمانينيات إلى التسعينيات قد نجد نكتًا تتضمن مضامين في أغلبها عن "جحا العربي وجحا الفرنسي" أو نكات عن الحماة سواء أم الزوج أو أم الزوجة، أو عن الشخص المغفل الذي يتعرض للاحتيال في كل مرة دون أن يتعض ويتعلّم الدرس. كما ظهرت في الجزائر في هذه المرحلة. على المستوى السياسي نكاتا عن الحكومة الجزائرية في ذلك الوقت بدءا برئيس الجمهورية إلى أعضاء الحكومة، وتنوعت النكات حول دهائهم واحتيالهم تارة أو غبائهم تارة أخرى دون أن تنقطع المضامين الأخرى من النكت في التداول والإنتشار بين الناس، لتأتي المرحلة الخطيرة في تاريخ الجزائر أواخر الثمانينات وفترة التسعينيات وهي (العشريّة السوداء) وتطفو على السطح نكات متعلقة بالإرهاب والخوف والرّعب مضحكة في ظاهرها ومخيفة في باطنها، كما ظهرت النكات الدّينية وإبراز شخصية الإمام وعلاقته بمن حوله، ثم تأتي الألفية الجديدة، ويأتي معها جيل جديد وتكنولوجيا متطوّرة وأفكار مختلفة و شخصية متميزة (ليس من باب الثناء ولكن من باب الاختلاف المواكب لطبيعة العصر وتناقضاته).

ذلك أن التطور التكنولوجي المستمر والانفتاح على العالم الخارجي الذي تجاوز حدود الوطن، من خلال القنوات الفضائية وبعدها الحواسيب الإلكترونية. والهواتف الذكية، ليتغير محتوى النكتة الشعبية الجزائرية ويأخذ قالبًا جديدًا مميزًا بلغة العصر وتناقضاته، هذا كله ولّد في أنفسنا رغبة جامحة في خوض تجربة البحث عن الأنساق الثقافية المضمرة في هذه النكات الشعبية الجزائرية التي اتسم شعبها، المميز في طبيعته، العريق في ثقافته، تتأصل فيه عاداته وتقاليده وتتجاذبه الأعراف تارة والحسّ الحضاري تارة أخرى، فتجد في نكاته المتعة والهزل والضحك في ظاهره، أما في باطنه فبالتمعّن والاستقصاء والتدقيق لاستخراج أنساقها المضمرة. يجب الغوص في أعماق المعاني والمفردات فيظهر الخفيّ وينقشع الغيم عن ثقافة شعب ومعارفه وأفكاره ومكبوتاته.

ومن هذه الأنساق الثقافية المضمرة في النكتة الشعبية الجزائرية ما يأتي:

I. نسق الفحولة

إن مفردة الفحولة بمفهومها اللغوي مأخوذة من كلمة فحل وهي متداولة في المجتمعات العربيّة منذ العصر الجاهلي، حيث ظهرت في آثارهم الأدبيّة من شعر ونثر وتعني الذكورة تارة، والقوة والهيمنة تارة أخرى. حيث يشير الغذامي إلى ذلك حين يقول "... اختراع الفحل وهو أخطر المخترعات الشعرية الثقافية، وهو مصطلح ارتبط بالطبقة (طبقات فحول الشعراء) وارتبط بالتفرّد والتعالي (الشعراء أمراء الكلام)"[1]. لكن صفات الفحل تختلف من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى آخر أيضا. ذلك أن ميزة الفحل تقاس بصفة أو عدة صفات حسب عقلية وطبيعة البيئة الاجتماعية للفرد، فيقال في المجتمع الجزائري "رجل فحل" إذا كان يعتمد على نفسه في كسب قوت يومه أو ذلك الذي لا يتأخر في تقديم يد العون لمن يطلبها، أو ذلك الشجاع الذي يحمي نفسه ويدافع عنها وعن عائلته فيجعل الناس تهابه وتقدره، والأمثلة كثيرة لا نكاد نحصيها. والوسط الاجتماعي في الجزائر يحمل في جعبته الكثير من النكات التي تميز نسق الفحولة في الرجل الجزائري. ومما قيل: " **أن ضيفا نزل عند عائلة جزائرية فأخذت الكناين تعد الطعام، وأخذت كل كنّة تتفقد القدر من حين لآخر وتتذوق الطعام ثم تضيف الملح وكان الحال نفسه مع الحماة، والضيف يرقبهم عن كثب، وعندما وضع الطعام للرجال وجدوه مالحا، فنهضوا وأشبعوا زوجاتهم ضربا، فنهض الضيف وأخذ يضرب الحماة «العجوز» وهو يقول: "الكناين عندهم رجالهم يضربوهم وأنتِ مات الشّايب تاعك تمنعي والله تاخذي طريقة زيّهم"**.

تُظهر هذه النكتة فحولة الرجل الجزائري وميزة الذكورة المسيطرة والقوية، حتى أن الضّيف يستطيع أن يتصرف بهذا الشكل كأنّه من أهل البيت، دون تبريرات أو اعتبارات. والإحساس بالفحولة المغروس في اللاشعور دفعه إلى هذا التصرف دون تفكير أو تدبير إن كان الأمر يصلح أم لا، باعتباره ضيفا. المهم تحقيق العدالة.

كما تظهر الذكورة في جانبها السلبي في تصرف الرجال وضربهم لنسائهم لسبب أقل ما يقال عنه تافها. وهنا تبرز عصبية الرجل الجزائري وعقليته المسيطرة التي لا تسمح بالخطأ مهما كان هيّنا.

وأيضا تظهر صفة التسرع وشدة الغضب التي يشتهر بها الانسان الجزائري إلى يومنا هذا، في المقابل تبرز النكتة ضعف المرأة وقلة حيلتها أمام الرجل والانصياع لأوامره متقبلة هذا الظلم، ويُحيلنا هذا على قوة العرف والتمسك بالتقاليد والعادات البالية التي تعطي الحق للرجل في استعمال سلطته الذكورية على من حوله، وخاصة المرأة دون قيد أو شرط، وهي تبتعد إلى حد كبير عن تعاليم ديننا الحنيف، فتجد الرجل في ظاهره المسلم المتدين

[1] عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص119.

والمستقيم لكن قلبه وعقليته ترفض التخلي عن ذكورته وسلطته اتجاه الأنثى لأنها في نظره خلقت لخدمته، فيظهر قسوته حتى لا يقال عنه كلاما يخدش رجولته، وتقول أمه "ولدي راجل فحل ". في موضع آخر تتجلى الذكورة في موقف أقل ما يقال عنه التدخل في أمور لا تعنيه (تصرف الضيف)، لكن اللاشعور يقوده إلى التصرف برعونة كأنه من أهل البيت.

قالك واحد:" **جبنا ماصو يخدمنا زوج شنابر شهرين وهو معانا حتى ولا يأكل ويشرب معانا، يضرب خاوتي الصغار كي يديرو الحس، ويتقلق كي يجيونا الضياف، ومرة زعف علينا كي جاو الخطابة لأختي وقبلنا قالنا: علاه ما شاورتونيش".**

تخفي النكتة طبيعة الفحولة في عقلية الإنسان الجزائري الذي يعطي لنفسه الحق في أمور لا تعنيه ولا تخصه دون حرج.

لكن بمرور الأزمان وتغيّر أحوال البلاد والعباد، وتطور التكنولوجيا، وتعميم الفكر والثقافة، والتخلص من العادات والتقاليد العقيمة والجهل أصبحت الأمور تسير لصالح المرأة، وأصبح الرجل يفقد العديد من الامتيازات التي تميّز بها لأن الطرف الآخر بدأ يتغيّر ويثور على العرف الذي أسكنه التهميش وألبسه لباس الظلم والإذلال، فظهرت أيضا في نكاتهم وانتقلت صفة الفحولة من الرجل إلى المرأة أيضا فيقال في الجزائر "امرأة فحلة" وتطور مفهومه عبر فترات زمنية معينة. فالمرأة الجزائرية الفحلة في الثورة غيرها بعد الاستقلال لتتعدد معانيها في عصرنا فمنهم من يراها في ربة البيت الطباخة التي تقوم بأعمال المنزل دون كلل أو ملل، ومنهم من يقيّمها في عملها داخل المنزل وخارجه، ومنهم أيضا من يراها تلك التي تفتك حقوقها بيدها دون حاجتها للرجل.

ففي عصرنا الحالي أصبحت المرأة تقوم مقام الرجل في الكثير من الأعمال والتصرفات وقد فرضت نفسها في عالم الرجال دون استئذان، فعلى سبيل المثال نورد هذه النكتة: " **خطرة دخل سارق الدار فسمعته الزوجة، نوضت الزوج قاتلو: نوض يا راجل بلاك سراق ادخل للدار. قالها: نوضي أنتِ بلاك سراقة**".

فالنكتة تظهر يقظة المرأة وحرصها على أمن منزلها يقابله إهمال الزوج واللامبالاة التي يحسّها وهروبه من المسؤولية، كما تظهر حالة الخوف التي يعيشها رافضا فكرة المواجهة، ضعفا منه في مواجهة المشاكل والصعوبات أيّا كان نوعها، تاركا وفاسحا الطريق أمام المرأة لتحمل الصّعاب. مع أنه في مجتمعنا الجزائري لم نصادف سارقة تقتحم البيوت ليلا للسطو والسرقة، واتخذ مقولة جحا ميثاقا " تخطي راسي" وفي نكتة أخرى قد تكون جوابا على النكتة السابقة "**وحدة سمينة قبضت سرّاق في دارها، قعدت على ظهرو وقالت لراجلها: روح جيب لابوليس قالها راجلها: وين راه صباطي؟ فصرخ اللص وقال :روح بالحفا، راح نموت يا جدّك؟**" ألا يتسم

هذا الموقف بالفحولة كون المرأة ألقت القبض على اللص واتخذت طريقة للامساك به حتى تصل الشرطة وهي تأمر وتدعو الزوج بإحضار الشرطة ثم تركها وحدها مع السارق واللص مستسلم يرى الشرطة أرحم منها، ويستعجل زوجها في جلب الشرطة. فظهرت المرأة الشجاعة، الآمرة الناهية لا يتسلل الخوف إلى قلبها، جريئة في مواقفها، عنيدة في طبعها. عكس الزوج الذي أصبح في حماية الزوجة وليس العكس فسقطت بذلك صفة الذكورة من الفحولة وحلت محلّها القوة والسيطرة أيًا كان مصدرها، من الرجل أو من المرأة.

لا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتعدا إلى انقطاع حبال الوصل بين الذكورة والفحولة في بعض النكات الاجتماعية والتي لها أبعاد سياسية كل يصب في بعض، فمثلا: "**وحدة شافت راجلها داخل للدار ورافد لعلام ويعيط: العصابة ديقاج، قاتلو مرتو :اللي يعيّط برا ماش في الدار؟ ! قالها كل واحد يعيط وين محقور**".

تبين هذه النكتة الحالة التي آلت إليها الأسرة الجزائرية

سيطرة المرأة نتيجة ضعف الرجل

↓ ↓

العصابة تستنزف خيرات الشعب

حتى أن الطريقة التي اختارها هي التعبير عن معاناته وليس رفع الظلم عنه. فهي التي تأخذ راتبه وتصرفه فيما تريد وتتحكم في أمور البيت على جميع الأصعدة (اقتصاديا، اجتماعيا، تربية الأولاد...) فحدث تبادل أدوار، وهذا ما نعيشه فعلا دون أن نعمم الفعل.

فقديما كان الرجل الطاغية، المتحكم في أمور بيته اقتصاديا واجتماعيا .... والمرأة هي المسكينة والمغلوبة على أمرها واليوم أصبحت:

المرأة ⟵ الطاغية والقوية

الرجل ⟵ الضعيف المكسور والمهزوم

وفي نكتة أخرى يظهر فيها جبروت المرأة رغم ظاهرها المضحك: رجل يشتكي لصديقه عن ظلم زوجته وأنها تجبره على أعمال المنزل حين عودته من العمل خاصة غسل الأواني، ونصحه صديقه بأن يضرب الباب برجله وينادي بعنف وغلظة لإخافتها.

فحين فعل ذلك صاحت به قائلة: **واشبيك تعيط؟! من الخوف قالها: جيت نغسل لماعن**. فالرجل تصنّع العنف والسيطرة والقوة لكن شخصيته الضعيفة خانته فلم يصمد طويلا واستسلم بسهولة في حين ظهرت الزوجة المتسلطة التي تعلم وتعرف تركيبة شخصية الزوج فأخافته بدل إخافتها. فالمرأة لم تسيطر على الرجل

وتفرض سلطتها عليه إلا بعقلها وذكائها فأدركت نقاط ضعفه فاستغلتها لصالحها. عكس الرجل الذي يعرض قوته بعضلاته لا بعقله.

هذا لا ينفي ظهور بعض النكات في عصرنا الحالي تظهر الرجل متحكما بعقله ثم عضلاته فيسيطر على الوضع.

"**قالك عروسة جديدة جات أمها عندها وبدات تقولها واش تعمل مع راجلها باش تسيطر عليه قالتلها: يابنتي الراجل تطلعيلو درجة درجة كالسلوم، سمعها راجل بنتها. العروسة بدات تطبق في خطة أمها فراجلها عطاها طريحة كحلة وابعثها لدار أهلها جات أمها لعند راجل بنتها وقالتلوا واش درتي لبنتي ؟! قالها: بنتك طاحت من السلوم**".

أظهرت النكتة محافظة الرجل على فحولته، وتصرف بذكاء موجها رسالة مشفرة لحماته بأنه هو المتحكم في زمام الأمور وأنه الآمر الناهي.

النكتة في ظاهرها المضحك والمسلي تحمل بين سطورها معاني السخرية والاستهزاء المعبرة عن ألم دفين أو رفض الأوضاع غير المرغوبة فيها وهذا ما نتحدث عنه في نسق آخر ألا وهو نسق السخرية.

II. نسق السخرية

عرف المجتمع الجزائري على غرار العديد من المجتمعات العربية، تحولات وتطورات على الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها من مجالات الحياة، وكان لزاما عليه أن يتعايش ويتأقلم معها فاتخذ لذلك طرقا عديدة إما القبول أو الرفض والمواجهة أو الاستسلام والاذعان لما هو كائن، واتخذ من النكتة الشعبية سبيلا للتعبير عن رفضه للأوضاع المعاشة في قالب فكاهي مضحك وجعلها متنفسا لرغباته وميولاته وآراءه وأفكاره، وفي أحيان كثيرة عن غضبه وثورته فنجد نكاتا عن الوضع السياسي والوضع الاجتماعي باعتبارهما من أكثر العوامل التي تؤثر في الفرد داخل مجتمعه.

1. السياسي

لقد سخرت النكتة الشعبية الجزائرية في ثمانينات القرن من الشخصيات السياسية متمثلة في شخصية رئيس الجمهورية " الشاذلي بن جديد" فتداولها الكبار والصغار دون أن نعلم مصدرها وكاتبها فكانت مضحكة في ظاهرها جريئة في مضمونها من هذه النكات: " **يقال أن الرئيسي الفرنسي فرانسوا ميترون والرئيس الأمريكي رونالد ريغان والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، أقاموا مسابقة للتعرّف على أكثر الدول تعاني المشاكل والأزمات، فكانوا يمرون في ماء بركة، والحدّ الذي يصله الماء من أجسادهم يمثل نسبة المشاكل التي تعاني منها تلك الدولة. دخل الرئيس الأمريكي للبركة فوصل الماء إلى بطنه ثم دخل**

الرئيس الفرنسي فوصل الماء إلى رقبته ثم جاء دور الرئيس الجزائري، فلا يكاد الماء يتعدى حذاءه فاحتار الجمع كيف لدولة مثل الجزائر ليس لديها مشاكل .بعد المسابقة سُؤل الشاذلي بن جديد عن ذلك، فقال لهم: أو الشريف مساعديّة تحتي وأنا طالع على كتافو".

من النكتة يظهر احتيال الرئيس في إخفاء الحقائق وتزييفها من جهة ومن جهة أخرى تظهر ذكاء الشعب ووعيه السياسي في معرفة وضع البلاد مهما أخفى القادة ذلك.

كذلك هناك نكتة أخرى تتمثل في عبارة قالها الرئيس الشاذلي بن جديد رحمه الله في إحدى المرات، وأصبحت مع مرور الزمن نكتة تحكيها الأجيال، وتتداولها حيث قال: " **الدولة لماعندهاش مشاكل ماهيشي دولة، والحمد لله حنا ما عندناش مشاكل".**

فالجزء الأول من النكتة يبين الحقيقة، فكل دولة في العالم لها مشاكلها مهما كان تحضّرها وتقدّمها أما الجزء الثاني فيكشف الجانب النفسي المضمر للرئيس وتمنّيه في أن لا يكون له مشاكل من كثرة الصعوبات التي تمر بها الجزائر في تلك الفترة (سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا)، فهو نوع من الهروب النفسي وهو أيضا نوع من الخداع غير المدروس، فقد أراد أن يخدع الشعب أو يطمئنه في كون الدولة ليس لديها مشاكل، لكنّ الواقع غير ذلك، ففشل في حبْكِ الخديعة لأنّ لسانه خانَه وفضحه.

فالنكتة أظهرت أيضا فطنة الجزائري الذي يدرك حقيقة مشاكله وأنّ الهروب من الواقع ليس حلا، إنما هو ضعف وهزيمة.

وأنّ الشعب الجزائري يدرك حيلة السياسيين في تزييف الواقع أو إخفائه وكانت النهاية هي المظاهرات التي شهدتها الجزائر في بداية التسعينيات، والتي خرج فيها الشعب الجزائري مطالبا رحيل الرئيس الشاذلي بن جديد وتسببت في خسائر مادية معتبرة كانت ستنتهي بنتائج أسوء لولا تدخل الجيش الجزائري والسيطرة على الوضع المتأزم في الشارع الجزائري فقدم الرئيس استقالته وبدأ الوضع في الرجوع إلى حالة الإستقرار الحذر.

2. الاجتماعي

مَن النكت التي تعود إلى سبعينيات وثمانيات القرن، بطلها جحا العربي وجحا الفرنسي، حيث كانت المقارنة بين المجتمع العربي والمجتمع الغربي، ومحاولة من العربي (الجزائري) تقليد الحياة الغربية ممثلة في حياة جحا الفرنسي باعتبار المجتمع الفرنسي أكثر المجتمعات احتكاكا بنظيره الجزائري منها:

"مرة جحا عرب شاف جحا فرانسيس يأكل الخبز والزيتون الأسود، فأخذ هو الآخر الخبز ومجموعة من الصراصير وبدأ بتناولها، وكلما أحدثت صوتا (زززز) يقول: ني قز ني مز شفت الرومي يأكل فيك".

فظاهر النكتة المضحك يقابله باطنها المؤلم المبكي، وهو التقليد الأعمى للغرب وانبهارهم بأبسط تفاصيل حياتهم، دون إدراك لنتائجه أو تفكير في عواقبه، وهو ما نشاهده اليوم جليًّا في شوارعنا وبيوتنا من لباس وقصة شعر ونمط حياة، فحدث لها مثلما حدث للغراب الذي أراد أن يقلّد مشية الحمامة ففشل في تقليد مشيتها وعندما أراد أن يعود إلى مشيته نسيها.

منها أيضا:

"جحا عرب عرضو جحا فرانسيس لبلادو، وأول شيء قدمهولو الورود. كي جحا عرب روّح لبلادو عرض هو الآخر حجا فرانسيس وكان يسكن في الدوار ماكانش الورد، فاستقبل ضيفه بنبتة موجودة بكثرة في البرية تدعى الحرّايق". الظاهر يصور شخصية جحا عرب الأبله، غير المدرك للعواقب، بعيد عن التحضر، لكن الحقيقة شيء آخر.

فوجود المستعمر في بلادنا ترك فينا ألما وذكريات قاسيّة أبعدتنا عن الإحساس بالأشياء الجميلة الموجودة حولنا فقد رأى الحرّايق شيئا مميزا لأنه لم يجده في بلاد جحا فرانسيس. مثلما رأى الورد شيئا مميزا لأنه لم يره في بلاده فساوى بين الشيئين وشتان بينهما، وكما قال الشاعر إليا أبو ماضي:

" يرى الشوك في الورود ويعمى.....أن يرى فوقها الندى إكليلا"

الملفت للنظر هو أن اسم " جحا عرب" منسوب للعرب فلم يسمى جحا الأمازيغي، ذلك أن الجزائر بلد عربية ولغتها الرسمية هي العربية، واختيار اسم جحا ليقوم بدورين العربي من جهة، والفرنسي من جهة أخرى وهذا يحمل نسقا فلسفيّاً عميقا، له دلالات تحتاج إلى التفكير والتمحيص لإدراك معناها.

فجحا شخصية عربية ربما يكون له شبيه في الآداب الشعبية العالمية، ولكن باسم آخر حسب ثقافات ومعتقدات تلك الشعوب. والذي يمكن استخلاصها في النقاط التالية:

- ✓ إن جحا عرب وجحا فرانسيس وجهان لعملة واحدة وأن الظروف هي التي خلقت هذا الاختلاف وكذا البيئة. أي أن جحا عرب لو وضع في بيئة متحضرة لكان كذلك، ومن هنا يلوح الأمل والسعي للتغيير

وبلوغ المقاصد. وأن السبب في ابتعاد الفرد عن التحضر هو المستعمر الذي أورثه الجهل والفقر وأبعده عن مسار التطور والرّقي.

- ✓ بالرغم من نسق السخرية الذي يصوّر الجزائري بوضع غير متحضّر إلاّ أنه يقدم لنا صورة عن عزّة نفسه وكرمه في دعوة الآخر للزيارة واستضافته، وكرم الضيافة من عاداتنا المتأصلة فينا ورثناها عن آبائنا وأجدادنا.
- ✓ إن السخرية في حدّ ذاتها ليست هدفا وإنما هي تحفيز لبلوغ الأحسن، كالمعلّم الذي يسخر من تلميذه ليس بهدف السخرية ولكن لدفعه من أجل إبراز قدراته وطاقاته الكامنة.

3. **البخل**

من الصفات والطّباع التي أحيطت بالسخرية في المجتمع الجزائري البخل وهي صفة قديمة عُرف بها الإنسان على اختلاف ديانته وانتمائه العرقي، فخُطَّت الكثير من المؤلفات فيه أو أشارت إليه ككتاب البخلاء للجاحظ.

من النكت الشعبية التي تضمنت هذا الطبع السيئ "**قالك ثلاث مرفهين وبخلاء طلبوا منهم التبرّع للفقراء، فقال الأول: نرسم دائرة ونرمي فيها الدراهم لي تطيح في الدائرة للفقراء ولي تطيح خارجها ليًّا، والثاني قالهم: نرسم خط عمودي لي يطيح على اليمين للفقراء ولي يطيح على اليسار ليّا والثالث قالهم: نرمي الدراهم في السماء لي يطيع على الأرض ليّا ولى يبقى في السماء للفقراء**".

تظهر هذه النكتة درجات البخل عند الأغنياء، فهناك من يعطي القليل وهناك من يحتال لإعطاء القليل وهناك من يمتنع عن البذل. فالبخل صفة ذميمة للغني قبل الفقير لأن هذا الأخير إذا أمسك يَدَه في الإنفاق فحتى لا يسأل الناس حاجة أعطوه أو منعوه، وخاصة إذا كان عزيز النفس، أما الغنى فلا عذر له.

وفي نكتة أخرى يظهر البخل متوارثا في العائلة " **قالك بخيل مات وفرحت عايلتو لأنه كان مرفه وحارمهم حتى من الأكل، ولدو الكبير قعد في بلاصة باباه وقالهم: بابا كان غالط ككان يقيس الفرماجة بالكسرة ويأكل، كان لازم يبعد الفرماجة ويغمّس في الهواء ويأكل**". بقدر ما أثارت النكتة ضحكنا حملت ألما عميقا في كون المرء يتذوق مرارة الفقر والحرمان وهو الغنّي الذي يملك من المال ما يكفيه ويزيد، كالمريض الذي يوضع أمامه ما لذّ وطاب وهو لا يستطيع مدّ يده إليه. والأبناء قد يرثوا عن آبائهم البخل فيكونوا أكثر بخلا منهم.

وفي نكتة أخرى تقول: "**واحد ماشي يحمل حذاءه تحت إبطه، حافي القدمين حتى ضربت الحجرة صباعو لكبير فجرح جرحا عميقا وسال الدم والناس تَتْغبن عليه وهو فرحان قالولو مستغربين: كيفاه فرحان بهذي الحالة ؟ قالهم: فيا ولا في صباطي لحمر..**"

فالبخل صفة تجعل المرء يتحمّل الأذى من فقر وحرمان وجوع وبرد في سبيل المحافظة على المال وأن خسارته لفلس واحد قد تدخله حالة نفسية كئيبة أكثر من إحساسه بشيء آخر. فالحرص الشديد حتى لو لم يكن مقصودا يوصل إلى البخل. والمجتمع الجزائري على سبيل المثال كان ينتهج سياسة الحرص الشديد أيام الاستعمار الذي أغرقه في الفقر والحرمان والجوع فكان النّاس وخاصة الأطفال يمشون حفاة ويتركون أحذيتهم للمناسبات والأعياد والسفر، ومع مرور الزمن وعلى الرغم من استقلال الجزائر وتحسن أحوالها وظروفها الاقتصادية والاجتماعية إلا أن الفعل أصبح متأصّلا فيهم فتجد الأطفال والنساء في بعض الأوساط الريفية يمشون حفاة ولا يهتمون بهندامهم إلاّ في المناسبات.

وحالة الفرح التي أحس بها الرجل في النكتة المذكورة سابقا رغم الألم والجرح الذي أصابه دليل على أن البخيل يتأذى بالألم النفسي الذي يلحقه عند البذل والعطاء وخسارة المال، ولا يتأذى بالألم الذي يصيبه في بدنه.

من عادة البخلاء أيضا إخفاء بخلهم بطرق عديدة محاولين الظهور بلباس الكرم والتميّز إلى أن تعاشرهم وتكتشف تحايلهم، فالرجل في النكتة يحمل معه حذاء أحمر فكلاهما يرمزان إلى أن الرجل يظهر للناس أنّه يملك حذاء واللون المثير (الأحمر) له حتى يثير انتباه الآخرين بأنه مسور الحال.

البخل في حقيقة الأمر مرض نفسيّ خطير على صاحبه ومن حوله وهو لا يعترف ببخله ويسميه حرصا يحاول إخفاءه بشتى الطرق، لكن يفتضح أمره على أهون سبب.

4. التعليم

شاع في وقت ما أن المعلّم يلبس لباس البخل واقترن البخل بالمعلم حتّى أنّ الناس إذا قالوا: فلان معلّم يضحكون كأنك قُلْت: فلان بخيل. ونسجت الكثير من النكت حوله منها:

" **قالك وحد المعلم طلّق مرتو، جاء صاحبو يعّقل فيه ويقولو: علاش طلقتي لمرا واش دارتلك أم أولادك ؟ قالوا: جبتلها بيدون زيت ما كمللهاش ستة أشهر قالو صاحبو: أووو هادي تسيق بيه !!؟**".

فهي من أكثر النكت التي أضحكتنا ولكنها واقع، فالذي لا يعرف وضعيّة المعلم فترة السبعينيات والثمانينيات لا يستوعب الأمر، فراتب المعلم كان ضئيلا لدرجة أن عاملا في شركة عمومية لا يقرأ ولا يكتب يتقاضى ثلاثة أضعاف راتبه، أما حالته الاجتماعية والمسؤولية اتجاه عائلته تجعل راتبه الشهري غير كاف لسد حاجاتهم، فالزوجة ماكثة بالبيت وستة أطفال أو أكثر وأحيانا والداه وأخواته، كل هذا جعل المعلم يُدرج في خانة البخلاء قد تصدق في بعض الأحيان ولكن في أحيان أخرى كان يجب أن ينتهج سياسة التقتير حتى لا يمد يده للناس، فتخرج من عباءة البخل التي يرتديها عزة نفسه وكبرياؤه الذي يمنعه من طلب المساعدة من الآخرين. وهنا يظهر جليّا تأثير الوضع الاقتصادي على النّخب المتعلمة والمفكرة في المجتمع.

بما أننا تحدثنا عن المعلّم، فإنّها ستكون بداية الحديث عن التعليم والمنظومة التعليميّة وأثرها على الأسرة والشارع، محاورها هي المعلّم والمتعلّم والوليّ في أماكن متعددة تبدأ بالمدرسة مرورا بالشارع وصولا إلى البيت والعكس صحيح كالمد والجزر والأمثلة كثيرة: " **قالك تلميذ ما حبّش يروح يقرا كي رجع قالو المعلّم علاه غبتي ؟ قالوا: جدي مات، العشية راح المعلم يعزي، شافو جدّ التلميذ قال لوليد وليدو: أهرب أوجا المعلّم تاعك ؟ قالوا: أجري ا جدي اتخبّا أني قلتلو بلي متي**".

يختفي وراء هذا النسق الساخر العديد من المشاكل التي تعانى منها المنظومة التربوية من عزوف التلاميذ خاصة الذكور عن الدراسة واختراع الحّيل في التغّيب عن المدرسة في صغرهم لينتهي بالتسّرب المدرسي والإنقطاع تماما عن الدراسة في مرحلة الطور المتوسط والثانوي.

كذلك جرأة تلميذ اليوم في نسج الأكاذيب دون خوف أو خجل منذ صغره، فالوضع الذي آلت إليه المدرسة الجزائرية لم يأت من فراغ بل هناك مسببات مباشرة زادت من تفاقم واستمرار هذه السلوكات داخل المدرسة الجزائرية. فصوّبت نحوها أصابع الإتهام في أنها خلقت جيلا مفككا عنيفا بينما هي ضحية مثله. ففي المناهج القديمة كان التلميذ مثالا للانضباط واحترام الكبار خاصة المعلّم، وكانت التربية هي الأساس في البيت والشارع والمدرسة. لكن تغيير المناهج وإهمال الجانب الأخلاقي وتغيير طرق التربية لدى الأولياء غيّرت مسار المنظومة التربوية إلى اتجاه مجهول. وغيرت مفاهيم عديدة.

فقلة الحياء أصبحت شجاعة، والكذب والحيلة أصبحتا ذكاء، واختفى الرّدع والتأنيب وانتصر التلميذ على معلمه بالحيلة والخداع.

وفي نكتة أخرى موقف مضحك يحمل العديد من الدلالات:

" قالك تلميذ ضربو المعلّم، راح لأمو يشكيلها وكانت سليطة اللّسان، راحت معاه للمدرسة وهي ثائرة وساخطة على المعلم، رآها هذا الأخير من بعيد وكان نبيها، فأقبل عليها وهو يقول:ما تقراش و زايد جايب معاك أختك ؟ عندما سمعت الأم هذا الكلام انطفأت جمرة غضبها وسكن صراخها وقالت للمعلّم: أنا أمه فقال لها: ما كانش منها تباني أخته، عند ذلك تغيرت لهجتها ونبرة صوتها قائلة: جيت نشوف واش داير فيك هذا البَلا؟ باه نزيد عليه وأخذت تضرب ولدها وتصب عليه الشتائم والولد حائر، كيف لأمه أن تنقلب 180 درجة".

تحمل النكتة العديد من الأنساق الخفية تعري واقع المنظومة التربوية وتفضح العلاقة المهينة بين الولي والمعلم من جهة والولي والابن من جهة أخرى، والتي أدت في يومنا هذا إلى فشل المنظومة التربوية ووصولها إلى طريق مسدود فالتلميذ قبل التسعينيات لا يتجرأ على قول "ضربني المعلم " لأن والده سيشبعه ضربا قبل أن يسأل المعلم لما ضربه. لكن اليوم غاب الوالد وحضرت الأم التي تقف إلى جانب ابنها في كذبه واحتياله وكما يقول المثل الشعبي (قريني وأنا سيدك). فسقطت هيبة المعلم وسقطت معه المنظومة التربوية والأخلاق وسقطت معها قول الشاعر أحمد شوقي:

"قم للمعلم وفّه التبجيلا .....كاد المعلم أن يكون رسولا".

5. **المخدرات**

ظهر نسق السخرية أيضا في نكات المحشحشين وهو نوع من الانحراف والصَّعلكة تحمل ألم وأوجاع جيل بأكمله ضلّ وحاد عن الصواب في ظل الأوضاع التي تعيشها الجزائر من البطالة وتدنى القدرة الشرائية للمواطن وأزمات أخرى. من هذه النكت:

"خطرة مزطول كان يحكي لصحابو قاللهم: عبالكم كي كنت صغير طحت من باطيمة عالية. قالولو صحابو: متي ولا مزالك حي ؟ قالهم: والله ماني شافي، قلتلكم كنت صغير".

تحكي النكتة عن واقع مرير ومجهول يمر به جيل بأكمله، جيل اختار أن يكون مغيّبا عن حياته باستعمال المخدرات على اختلاف أصنافها واختار أيضا أن يلغي تفكيره ليضيع مستقبله، ويعيش كالمجنون الذي ذهب عقله فأصبح لا يميّز بين الأشياء. فهو لا يعرف إن كان حيًّا أم ميّتا فهذا نسميه إحساسا بالضياع، فقوله (طحت من

باطيمة عالية كي كنت صغير) أحسّ بالتشتت منذ نعومة أظافره .. حتى أصدقاءه الذين يجالسهم يبادلونه نفس الشعور فهو يجالسهم ويتحدث معهم وهم يسألونه سؤال من لا عقل له. فالنكتة تلخص حياة جيل اختار أن يهرب من المشاكل والأزمات المحيطة به بدلَ حلّها، ولأنّه لا يستطيع أن يتجاهل هذا الضياع استعان بالمخدرات ليعزل نفسه وعقله وتفكيره عن واقعه المرير. ووسيلته في الهروب جعلت منه فردا غير مرغوب فيه في مجتمعه ومنبوذا من أقرب الناس إليه.

وفي نكتة أخرى: "**قالك مزطول قاعد يبكي والناس دايرة بيه تواسي وتصبر فيه لأنو باباه مات، شوي ورنّ التيلفون تاعوا تكلم فيه وزاد ولّا يبكى كثر من اللّول: قالولو الناس واش زاد صرا، قالهم: المصايب كي تجي تجي وراء بعضاها، حتى أختي باباها مات** ". يظهر الضياع أيضا في هذه النكتة وقطيعة بين قلبه وعقله فقلبه يبكى حرقة على فقدان والده لكن عقله لا يستوعب الموقف كالطفل لا يدري ما يفعل، ولا يبذل أي حركة فحياته ساكنة في مكان واحد، كأنها توقفت عند نقطة معينة لا هو تقدم ولا هو تأخر. أو كالذي أصابه خوف فسكن في مكانه لا يتحرك ينتظر مصيره المحتوم وهذا هو واقع الكثير من شبابنا.

كما تناولت النكتة الشعبية مواقف تميزت بالتناقض نتيجة الخوف من المواجهة أو المصلحة المشتركة التي تفرضها الحياة الاجتماعية والسياسية أو الاقتصادية وهذا ما يحيلنا إلى نسق آخر يتمثل في:

III. نسق التناقض

فالتناقض يقع في النفس البشرية قبل كل شيء وكما يقول المثل الشعبي (شاتي اللبن ومخبي الطاس) والنكت التي تصور هذا التناقض عديدة في جميع الفئات العمرية منها: " **جداتي قاتلي: حنا في وقتنا كانت النية وقلبنا ابيض. وهي ما هدرتش مع أختها 43 عام على جال بسينة**" . ففعلا يباهى كل جيل بإيجابياته وصفاته النبيلة لكن الحقيقة أن كل جيل له خصوصياته بإيجابياتها وزلاّتها، وأن الحروب والعداوات قد تقوم لأتفه الأسباب. كذلك الكثير من الناس يدعي الصلاح لكن أفعاله تقول عكس ذلك.

وفي موقف آخر " **واحد سرق راجل في الشارع وشبعو ضرب قالو: اسرقتيني وعلاه تضرب فيّ قالو: باه نجيبها بعرق جبيني**" فالسرقة والعمل الحلال شيئان متناقضان لكن الرجل أراد أن يجمع بين الكسب الحرام والكسب الحلال لمجرد فكرة (نجيبها بعرق جبيني) وهي العبارة التي تتداولها الألسن بمعنى الرزق الحلال. فقد أصبحنا في مجتمع يجمع بين المتناقضات لغياب الوازع الديني من جهة والرّدع من جهة أخرى. فالسارق يهُم

بالسرقة ويقول يا معين، و يؤذي الناس ثم يدعو عليهم، والمحتال يسمى ذكيّاً والمخادع يسمى فطنا فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمى وقتنا هذا بالأيام الخدّعات.

من النكت التي تظهر أمرا وتخفى آخر " **قالك واحد جات عندو نسيبتو قالها: قداه راح تقعدي عندنا بعد ما رحب بها ؟ قالتلوا كي تكرهو مني نروّح قالها: خسارة عليك آنسيبتي على الأقل أشربي قهوة وروّحي**".

تخفي العبارة ما يحس به الرجل ولكن يحاول إخفاءه بعبارات الترحيب فهي المعنى الحقيقي للطرد وأنّها ضيف غير مرغوب فيه لكن لا يستطيع الإفصاح عن شعوره جهرة لأن الأمر يكلّفه مشاكل هو في غنًى عنها، والأكيد أنّه أحسّ بالغضب لقدوم حماته لكنه يفتعل الهدوء ويرسم على وجهه ابتسامة مزيفة حتى لا يفتضح أمره، نسمّيه أيضا النّفاق وهو الصفة التي كانت ومازالت إلى يومنا هذا ترتبط أغلبها بالمصالح، والخوف من العواقب وأسباب أخرى لا تعد ولا تحصى، ففي السياسة يسمى دبلوماسية وفي المجتمع يسمى مجاملة وتعددت الأسماء لكنها تصب كلّها في دلو النّفاق. ما عدى بعض العبارات والتصرفات التي يلجأ إليها المسلم للتخفيف من آلام شخص أو إخفاء حقيقة عنه قد تؤذيه بدل نفعه، وهنا تتغير التسمية وتصبح "جبر الخواطر". فقد تواسي شخصا وتخفّف عنه هَمًّا عَظِيمًا أو تزرع في إنسان الثقة بالنفس حتى يواصل مشواره الذي بدأه وغيرها من المواقف التي نراها باستمرار في حياتنا اليومية وتحدث أثر إيجابيا في المجتمع.

من التناقضات التي نسمعها أو نراها " **قالك إمام صلى بالناس في عيد الأضحى وكان أحد المصلين قد أسلم حديثا فوقف أمام باب المسجد قبل خروج الناس وقال لهم وهو يحمل سكينا كبيرا يبحث عمّن يذبح له أضحيته: من منكم مسلم فأخذ الناس ينظرون إلى بعضهم ومعهم الإمام ثم أشاروا كلهم إلى الإمام فقال هذا الأخير بفزع: واش صليت بيكم ركعتين سميتوني مسلم ؟ !**"

فالمعروف أن الإنسان كلما تقرب إلى الله سبحانه وتعالى يذهب خوفه وتحلّ محله الطمأنينة والسكينة فما بالك بحافظ كتاب الله يؤمّ الناس ويدعوهم إلى الثبات والاعتصام بحبل الله، وعند أول اختبار يفشل فشلا ذريعا ويتساوى مع غيره من المصلين. فقد يُغْفَر للمصلين خوفهم، لكن لا يغفر للإمام، وكما قال الشاعر:

"لا تنه عن خلق وتأتي مثله..... عار عليك إذا فعلت عظيم"

نلاحظ أن هذه النكتة قد كسرت التابوهات التي لا يمكن تجاوزها خاصة التابو الديني لانّ الإمام خط أحمر لا يمكن تجاوزه لكنّ النكتة أرادت أن يكون موضوعا دسما لها دون قيد أو شرط بهدف المزاح والضحك.

فهناك العديد من النكت التي نسمعها يوميًّا في مجالسنا تتجاوز التابوهات سواء كانت دينية أو سياسية أو اجتماعية وفي الأخير فهي تعبّر عن وعي سطحي لفئة محددة في المجتمع لأن هناك ثوابت لا يمكن تجاوزها فمكانة الإمام تبقى محافظة على قدسيتها وإن حدث فعلا شيء من هذا القبيل فهي لا تنقص من مكانة الإمام وكما يقال: " الشاذ لا يقاس عليه".

من التناقضات المضحكة المبكية أيضا:

" **قالك سكران تلاقى مع إمام في الفجر رايح للجامع باه يصلي بالناس قالو: أنا عندي الزهر أكثر منك قالو الإمام: علاه ؟ قالو: أنا صبحت على إمام وأنت صبحتي على سكران**".

تخفي النكتة صفة كنا نظنها قد زالت واندثرت مع زوال الجهل وانتشار دور العلم ومجالسه التي تذكّر الناس بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، ألا وهي التَّطير ذلك أن الأعراف والمعتقدات الوثنية مازالت راسخة في لا وعي الجزائري. حتى أن بعض الناس إذا خرجوا من بيوتهم وقابلوا شخصا أو حيوانا ينفرون منه، وعادوا إلى بيوتهم ظّناً منهم أنه فال شؤم.

وقد نهانا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عن هذه الصفة. في النكتة أيضا صفة خفية تبرز إحساس الجزائري اتجاه دينه، رغم انغماسه في الملذات فهو يرى أنه محظوظ لأنه قابل الإمام وهو بنظره رمز للتقوى والورع والدين الإسلامي. ذلك أن الجزائري مهما غرق بملذات الحياة فإنّ روحه تبقى متعلّقة بدينه الإسلامي وتقديس كل ما ينتمي إليه.

من المتناقضات التي نلمحها في مجتمعنا وأصبحت موضوعا دسما في النكتة الشعبيّة أنه:

" **قالك بنات خارجين من صلاة التراويح، وحدة قالت لصحبتها: نصلّو التراويح في هذا الجامع سمانة ولكان ما تزوجناش نبدلو الجامع**". وتجمع هذا النكتة متناقضات عديدة تعيشها البلدان المسلمة ليس الجزائر فقط وهي:

- تغير الغاية من صلاة التراويح من طلب المغفرة والتقرّب إلى الله إلى مآرب دنيوية بواسطة الخداع والنفاق.
- استفحال الرياء في مجتمعنا المسلم، فالناس يصلون ويتصدقون ويحجّون لكي ينالوا الشكر والمكانة من الآخرين لا من الله سبحانه وتعالى.
- المتاجرة بالدين كاستعماله لتحقيق غايات شخصية دون إحساس بتأنيب الضمير.

- التفاهة وغياب السلطة الأبوية لدرجة أنّ البنات يبحثن عن الزوج بأنفسهن وبطرق ملتوية.

ومن النكت المشابهة:" **قالك الإمام راح يعقد لفتاة وسأل باباها قالو: يخي الطفلة قابلة بالعريس هذا؟ قالو باباها: نعم، أي سقسيني أنا إذا كنت قابل ولا لا**".

تخفي النكتة تلميحات عن أوضاع يعيشها المجتمع الجزائري وظواهر لم تكن من قبل مثل: ظاهرة العنوسة، حرية المرأة وتقليدها للمرأة الغربيّة، مبتعدة عن العرف والعادات والتقاليد التي تقضي بتقدم الرجل لطلب يد الفتاة من أبيها أولا ثم مشاورتها.

نستنبط من النكتة أيضا مسألة مهمة في حياة الجزائري التي لم تتغير حتى الآن وهي مقياس الأخلاق باعتبارها صفة لم تتغيّر حتى الآن. فمقياس الأخلاق نعتزّ به، فهو الدافع الأول للزّواج وبناء أسرة في نظر الجزائري، قبل الجمال والمال.

IV. نسق الصّراع والهيمنة

وجد الصراع منذ الأزل بغية الوصول إلى الهيمنة والسّيطرة، فقد عرفت الحياة البشريّة على مرّ العصور والأزمان، صراعا من أجل البقاء وصراع الخير والشر وصراع السلطة والحكم وصراع النفس بين ضميرها ونزواتها، وتجسّد هذا الصراع في الأفعال والأقوال فخطّت على صفحات الكتب وتناقلتها الألسن عبر الأجيال وكانت النكتة من بين الآداب الشعبيّة التي حضيت بالحديث عن هذه الصراعات بعفويّة غير مقصودة خاصة في الجانب الإجتماعي والسياسي.

تناولت النكتة الشعبيّة الجزائرية صراعات الأسرة الجزائرية فتارة بين الزوج والزوجة وتارة أخرى بين الزوجة والحماة أو الزوج وحماته، نذكر منها: " **قالك بكري العجوزة (الحماة) كانت تحضر مكونات إعداد الطعام وتقول للكنة واش تطيّب، مرّة قاتلها: هاو الدقيق ديري زوج خبزات كسرة، الكنة كي خبزت جاوها زوج خبزات وقرصة صغيرة، خلات زوج خبزات وكلات القرصة وهي عجينة**".

نستنبط من النكتة حالة الخوف التي كانت الكنة تعيشها ومازالت لحد الآن ولكن في حالات نادرة. أيضا سلطة الحماة (أم الزوج) وهيمنتها على كل كبيرة وصغيرة في الأسرة فهي الآمر الناهي. تظهر النكتة أيضا الذل والاستعباد اللذان كانت تعيشهما الكنة. كأنه نوع من الإنتقام ولكن للشخص الخطأ، فالعجوز (أم الزوج) كانت كنّة من قبل وجرى عليها ما يجري على كل كنّة.

تصور النكتة سيطرة وهيمنة العجوز (أم الزوج) في المجتمع الجزائري حسب العرف والعادات والتقاليد فهي الآمر الناهي في كل أمور الأسرة، ومخالفة أوامرها معناه الخروج عن العرف وعن أصول التربية في نظر الناس في ذلك الوقت.

تغيرت الموازين في عصرنا وتميل الكفة لصالح الكنّة حيث تقول النكتة: " **قالك واحد يحكي لصحابو: قالهم غاضتني جداتي، قاتلي: أنا معنديش الزهر مين كنت كنّة، كانو لعجايز ليحكمو، وكي وليت عجوزة ولاو الكناين لي حكمو**". وفي نكتة أخرى: " **صاحبي تزوّج سقسيتو تهنيت ؟ قالي: وحق ربي غير باباها لي تهنّى**".

مما سبق نستنتج أن تصرفات الحماة أو زوجة الابن تظهر وراء ثنائية خفيّة في المجتمع وهي الجهل والتعلم، فلما كانت المرأة أميّة منغلقة على نفسها كانت تابعة لا رأي لها لكن بتعليمها أصبحت تستطيع التعبير عن رأيها وأفكارها فكسرت قيود العرف والتقاليد التي تفرض إذلالها وإهانتها.

وفي موضع آخر: " **قالك واحد عاون جارتو في حمل أكياس القضيان للباب، شافتو مرتو،كي روّح للدار، قدّست عليه. قالها: الرسول صلى الله عليه وسلم قال: رفقا بالقوارير، قاتلو: يقصد كل واحد يتهلا فالقارورة تاعو**".

توحي النكتة أن هناك تغييرا حدث في المجتمع الجزائري على الصعيد الاجتماعي والثقافي أكسب المرأة شخصية جديدة ومختلفة تتسم بالثقة بالنفس والشجاعة فأوصلتها إلى السلطة.

أما الرجل لم يتغيّر بل حافظ على شخصيته بكل سلبياتها وإيجابياتها فهو ما زال الآمر الناهي ويعتمد على عضلاته لا عقله، هذا لا يمنع من أن الرجل قد تغلّب على المرأة في بعض الأحيان عندما يستعمل الحيل ليحقق أيضا السلطة عندما لا تنفع العضلات وهنا ما نلمحه في النكات التالية:

" **قالك تفاهمو قبل الزواج هو عليه المصروف تاع الدّار، وهي عليها لكرا، بعد ما مات عرفت بلي الدار ملكوا وكان يصرف عليها بدراهم لكرا**".

وفي نكتة أخرى:" **قالك راجل يسالوه الناس دراهم ومعندوش مين يرجع قاتلو مرتو: هاك الخاتم تاع الزواج بيعو وخلص بيه الناس، الراجل تفلق بالبكا، قاتلو مرتو: علاش تبكي ! قالها: الخاتم ماش ذهب**".

المعروف لدى العام والخاص أن سلطة الرجل في بيته تتحقق بعدة أشياء أهمها الإنفاق وتقديم الذهب للعروس وهي من الواجبات التي توجب على الزوج دينا وقانونا وعرفا. لكن الحياة الاقتصادية ومتطلبات الحياة التي فرضت لغة المال، أصبحت العلاقات الزوجية غير مستقرة كأنَّ الظاهر وجه والباطن وجه آخر، وأصبح الآخر

الذي هو الرجل يحاول المحافظة على سلطته الذكورية بنوع من الاحتيال والخداع. لكن تبقى تصرفات فردية لا يمكن تعميمها في المجتمع الجزائري.

يظهر أيضا الصراع بين الرجل وحماته، وقد اشتهر هذا النوع من النكات في فترة الثمانينيات في الأوساط الشعبية الجزائرية فمثلا:

" قالك واحد لقاو فمو كحل (أسود) قالولوا واشبيه فمّك أكحل؟ قالهم: سلمت على رجلين التران (عجلات القطار)، قالولوا علاه ؟؟ قالهم: ادا نسيبتي تروّح لدارها ".

فتدخل الحماة في أمور ابنتها الشخصية ظانّة منها أنها تريد الخير لها، يجعل الزوج يتذمر ولا يرحب بقدومها لبيته وهذا ظاهر النكتة، يختفي وراءها عقلية الرجل الجزائري الذي لا يقبل التدخل في أموره الخاصة، وفي نفس الوقت تأبى عليه تربيته في تجاوز حدوده أمام امرأة كبيرة في السن (أم زوجته)، واحترام الكبير في نظر الجزائري هي نقطة ضعفه.

ظهر الصراع السياسي من أجل السلطة والهيمنة في فترة معينة من تاريخ الجزائر وسميت بالعشرية السوداء لما ميّزها من تطرّف وعنف وتقتيل لأرواح الأبرياء أدى إلى اللا أمن واللا إستقرار، لكنه لم يمنع النكتة الشعبية الجزائرية من تناوله وإضحاك الناس، ومن النكت التي تحدثت في هذا السياق:

" قالك بيس (حافلة) وقفوها فو براج (حاجز مزيف) نزلو الغاشي و بدا يسأل الإرهابي فيهم قال للأول: واش اسمك؟ قالوا: إبراهيم، قالوا أقرا لي سورة إبراهيم، قراهالو، قالو روح منعتي. راح للثاني، قالو واش اسمك ؟ قالوا ياسين، قالو: اقرالي سورة ياسين، قراهالو، راح للثالث وقالو واش اسمك: قالوا سموني قدور ويعيطولي كوثر".

النكتة تحمل ألم الشعب وخوفه من التنقل عبر الطرقات خاصة المعلمين الذين يدرّسون في المناطق النائية والعسكريين أيضا، تخفى النكتة الجزء المظلم من تلك الفترة وهو الخوف والرعب واللا أمن والتعصب والفهم الخاطئ للدين.

وفي نكتة أخرى: **" قالك واحد دخل لسوبيرات يقضى، فجأة شاف واحد بولحية ولابس قميص يعيط: تكبير، تكبير...والناس: الله أكبر، الله أكبر، حطوه راح يفجر روحو لي داخ ولّي يشهد، حتى شاف بنتو وقالها: ما الصباح وأنا نعيط و اين كنتي".**

يبقى الخوف يسكن لاوعي الجزائري الذي عايش أحداث العشرية السوداء فزرعت القلق والرعب في عقولهم وأفكارهم. تظهر أيضا فكرة الناس في الحكم على الظاهر فأصبح اللّباس رمزا للتطرف وكذلك اللحيّة.

وأهم شيء يعتز به الجزائري أنه في كل مرة نلمح انتماء هذا الأخير للإسلام فالخوف والرعب مهما عاشه أو شعر به فهو لا ينسى أن الموت حق وأن النطق بالشهادة شعار المسلم. النكتة أيضا في جزئياتها الخفية تلمّح إلى التغيير الذي لامس الجزائري في أسلوب حياته ومظهرها أيضا فاللباس والأسماء دليل على ذلك وهذا نتيجة التفتح والإطلاع على حياة شعوب أخرى في ظل العولمة والتطور التكنولوجي.

إن النكات الخاصة بأحداث العشريّة السوداء تظهر النسق النفسي الذي عاشه الجزائريون من خوف وقلق لم ينته بعودة الحياة إلى طبيعتها واستقرارها بل تعود تلك المخاوف في كل مرة عندما يصادفون موقفا مشابها أو يسمعون ما يذكرهم بتلك الأيام.

V. نسق الرفض

تناولت النكتة الشعبية الجزائرية مواقف كثيرة غير مستحبّة في المجتمع الجزائريّ فكانت نقدا لاذعا في قالب فكاهي مضحك، حيث تناولت العديد من الطباع والآفات الاجتماعية المنتشرة في بلادنا منها:

1. الكذب

من النكت التي تحمل هذا المضمون: "**قالك وحد السيد كذاب يحكي لصاحبو قالو: بكري جدي كان عندو حصان يطير، قالو صاحبو: وحنا بكري كان عندنا باطيمة بلا دروج، قالو: كيفاه تطلعوا ؟قالو: بحصان جدك**".

وفي نكتة أخرى:

" قالك واحد بكري قال لصاحبو: كي نقعدو في جماعة أنا نكذب وأنت عاوني في الكذبة قالو: ما كان حتى مشكل. مالاً هما قاعدين في جماعة وهو قال: اسمعوا يا جماعة سمعت معزة تعيط في السماء قالولو ما كانش منها ! كيفاه معزة طير؟ قاللهم صاحبو: بالاك هزّها نسر، كي وقفوا مالجماعة، قالو صاحبو أصاحبي ما تفاهمناش هكذا، أنا قتلك تكذب كذب لوطا ماشي كذب السما".

يظهر العامل النفسي في هذا النوع من النكت فتجد الشخص ينسج قصصا وروايات لا أساس لها من الصحة لمجرد خلق موضوع حديث حتى لو كان تافها أو كأنها هواية يمارسها لمجرد الثرثرة وقد تكون أسبابها عديدة منها:

قد يعد سبب هذا النوع من الكذب مرضا نفسيا أو عدم الثقة بالنفس أو الإحساس بالوحدة فيلجأ إلى هذا النوع من القصص ليستأنس، وأحيانا نجده الفراغ الذي يدفع المرء إلى اختلاق القصص والحكايات ويجعل منها وسيلة للظهور أو لفت الأنظار إليه.

2. الاحتيال

تعدّ صفة الاحتيال قديمة عرفت عند الشعوب العربية وغيرها، نمت وتطورت في ظل حبّ الذات وتفضيل الأنا ومن النكت الجزائرية التي تصوّر هذا النوع ما يلي:

"**بكري وحايد خطبو لوليدهم، وكان رقواط (ينطق الكاف تاء) وصاوه ما يهدرش كي يروحو يخطبو، وباباه يقولهم ولدي حشّام علابيها ما يهدرش، تمت الخطوبة والزواج بدون صعوبات. في ليلة العرس قالت الأم لوليدها رد بالك تهدر كلمة فيها الكاف قدام العروسة حتى يفوتو يامات، كي حطولهم العشاء، بدا يعرض فيها ويقولها: تفضلي، وهي تقولو: تفضل أنتَ، وبقاو يعرضو في بعضاهم . حتى نطق لعريس قالها: أيا تُولي، قالتلو لعروسة : يااا و حنا تيفتيف**".

تسافر بنا النكتة إلى جيل كانت العائلة هي التي تخطب لابنها فلا يرى عروسه إلا ليلة الدخلة وهنا يلعب الحظ دوره في سلامة العروسين الجسدية والعقلية وهي ظواهر سلبية في جانبها الاجتماعي خصوصا أن العرف في تلك الفترة يرفض الطلاق ويحتم على الطرف الآخر تقبل العروس أو العريس على عيبه.

ومن النكت الطريفة التي تظهر الاحتيال في شكله الهزلي المضحك وباطنه السلبي غير المرغوب فيه من الجانب الاجتماعي والأخلاقي أنه كان:

" **ثلاث صحاب معندهش حتى دورو (مفلسين) حكمو طاكسي واتفاهمو، كي يوصلو للبلاصة لي حابينها وتحبس الطاكسي، يحلو البيبان ويهربو. كيما كان الحال، الطاكسي حبست وهم فتحو البيبان وجراو حتى وصلو بطيمة طلعو لليطاج الثالث واتخباو في زاوية مظلمة وقعدو ساكتين، من بعد واحد منهم مس صاحبو وقالو: يا درا وش صرا للشيفور، قالو: يا ولدي أنا هو الشيفور فهموني واش لحكاية يرحم والديكم، عييت من الجري**".

فالنكتة في ظاهرها احتيال ولكن في باطنها خوف من المجهول. وهو شعور يختبئ في اللاوعي. هذا النوع من الخوف لا يمكن تفسيره لكن يمكن القول بأنه منبثق من الشك واللا أمن خاصة وقد مر على الجزائري في حياته الاجتماعية الكثير من المصاعب والنكبات أهمها العشرية السوداء التي جعلت الخوف يسكنه ويظهر عند أول ردة فعل.

3. الدين

ظهرت نكات في المجتمع الجزائري وان كان ظاهرها الهزل والضحك، لكن كسرت تابوهات سياسية وعرفية ودينية خاصة هذه الأخيرة حيث أن هناك أمور دينية لا يمكن تجاوزها أو الحديث عنها من قبل عامة الناس، لكن النكتة هي الوحيدة التي استطاعت أن تكسر هذا التابو، ومن النكت التي قيلت حوله:

" **قالك الناس اللي في النار اتصلوا مع تاع الجنّة وقالولهم: غلبنا من العذاب، نتفاهمو نبنيو قنطرة نص علينا ونص لوخر عليكم، شوفو المصاوات لعندكم يبنيو نص القنطرة بعدما المصاوات تعنا يبنيو النص لوخر، جاو المصاوات نتاع النار وابناو النص يلي على جيهتهم وبقاو يسناو في تاع الجنة يبنيو النص لوخر، كي بطاو عيطولهم وسألوهم على سبب التأخير قالولهم تاع الجنة: حوسنا الجنة كامل ما لقينا حتى ماصو**".

فظاهر النكتة نقد لاذع للبنائين ورفض واضح لما يمارسونه من احتيال على الناس، لكن الرفض بحدّ ذاته هو النسق الخفي فيها فهو رفض للظواهر السلبية التي نراها في مجتمعنا من استغلال للنّاس خاصة في موضوع البناء والأمثلة كثيرة يطول تعدادها. ولكنها تجاوز للتابو الديني الذي جعل الدين خطاً أحمر لا يمكن الخوض فيه كالجنّة والنار ومن يحاسبهم هو الله يوم القيامة فهذا كله في علم الغيب ولا يعلمه إلا الله، غير أن النكتة من بين الآداب الشعبية التي خاضت في هذا النوع من التابوهات غايتها هو المزاح والتسلية والترويح عن النفس وكشف السلبيات وفضح بعض التجاوزات.

4. الإيمان بالشعوذة والمعتقدات

من النكت المشهورة عن الإيمان بالغيبيّات والتنبؤ بها في إطار الشعوذة هذه النكتة:

"**قالك وحدة رايحا تعقب الباك، راحت عند الشوافة، قاتلها: شوفيلي ندي الباك ولا لا ؟ قاتلها: تديه وتجيبي معاه ربع أولاد**".

فقد انتشر هذا النوع من الدّجل وقراءة الغيب في الأزمان الماضية عندما كان الجهل مستفحلا في المجتمعات والمجتمع الجزائري بالتحديد، فكان الرجل يعمل لكسب القوت بينما المرأة مكانها البيت وأحلامها تنحصر في الزواج وتربية الأولاد، فتلجأ النسوة إلى الدجل إذا تأخرت البنات عن الزواج.

تتغير الظروف الاجتماعية وتدخل البنات المدارس والجامعات ومن ثم ميدان العمل، فتقل هذه السلوكات السلبية إلا في بعض المناطق النائية، أو بعض التصرفات الفردية لبعض الفئات من النساء قد يكون لعامل نفسي سببه الخوف من المجهول أو اتباع الأعراف السائرة في عائلاتهم كأن يكون موروثا في عاداتهم وتقاليدهم أو عدم الثقة بالنفس أو الفضول الذي يدفع المرء لمعرفة الغيب.

من النكت المضحكة أيضا: " **قالك واحد بات عند خالتو وكانت أمو تحكيلو بلي دارها مسكونة، عطش في الليل، ناض يشرب لقى تريستي مكانش، مشى بالشوية حتى وصل للكوزينة، شاف في الظلمة حاجة بيضا وشعرها طالع في السما، ضربها بمقلة واهرب واتكسل في بلاصتو، مع الصّباح لقى خالتو رابطة راسها ببوندة، قالهم: واشبيها خالتي، قاتلو بنت خالتو: البارح في الليل ادياها لسبيطار، ضربها جني بمقلة**".

من الظواهر السلبية التي يرفضها الإنسان الواعي العاقل هو التصديق بالخرافات والمعتقدات الباليّة والخوف منها، فالجن حقيقة ومن مخلوقات الله سبحانه وتعالى لكن لا ينبغي نسج قصص خياليّة لتأكيد وجوده. والإيمان بمثل هذه الأمور وعي سطحي يسلّم بما تمليه عليه مخاوفه من وساوس وخيالات أو ما يسمع من حكايات خرافية بعيدة عن الواقع.

5. أزمة السكن

عانت الجزائر وما زالت من أزمة السكن. فتجد من يقدم طلبا للسكن قبل الزواج، لا يحصل عليه إلا بعد سنين وقد أصبح له أولاد. ومن النكت التي تتحدث عن هذا الموضوع: "**قالك واحد ماشي في الشارع، لقى باطة طماطم فارغة، ضربها برجلو خرج منها جنيّ قالو: شبيك، لبيك واش تطلب بين يديك، قالو: حاب سكنة، قالو الجني ما لقيت ما تطلب، كلش نقدرلو إلا السكنة، ما تشوفش فيا ساكن في باطة طماطم**".

النكتة تصوّر لنا أزمة السكن قد طالت عالم الجن لكن في الجزء المضمر منها هي رفض للوضع الاجتماعي الذي يعيشه الجزائري من عدم توفر السكن والمشاكل التي تنجر عنها وهو أيضا نقد لاذع للحكومة التي لم تجد وزارتها للسكن حلا ناجعا تثلج به صدر المواطن. فالنكتة قد تضمنت بين سطورها نقدا للتابو السياسي الذي فشل في إيجاد حل لهذه الأزمة فترتب عنها مشاكل اجتماعية واقتصادية ونفسية أيضا.

6. الحكم على الناس بالظاهر

من الظواهر السلبية في المجتمع الجزائري هو الحكم على الآخرين بالظاهر من تصرفاتهم أو من هيآتهم فنجد نكتا كثيرة تضمنت هذه الظواهر خاصة ما تعلق منها بالجانب الديني:

" **قالك واحد رقد في السجود، حتى سمع الناس تهلل وتكبّر، وفهم بليّ حطوه مات، حشم ينوض**".من المظاهر التي أصبحت منتشرة في مجتمعنا هو موت الفجأة، خاصة في المساجد مما يجعل الناس تحكم على المتوفي بالتقوى. وأن مثواه الجنة، وهذه فكرة غير مستحبة لأن الحكم يرجع إلى الله سبحانه وتعالى وحده دون سواه. وأخرى تقول: " **قالك واحد غني خرج عند عايلة فقيرة باه يتصدّق عليها، والعايلة فرحانه، وفي آخر لحظة بطل يمدلهم، قالولو علاه ؟ قالهم: نسيت الكاميرا**".

لا يمكن تعميم هذا الظواهر السلبية وفي نفس الوقت لا يمكن تجاهلها، فالجزائري كريم بطبعه إلا أن العامل الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي يدفع إلى مثل هذه السلوكات البعيدة عن تعاليم ديننا الإسلامي. فقد يكون المتصدق سياسيا مرشحا لانتخابات معينة أو رجل أعمال يخطط لمشاريع في تلك المنطقة أو حتى يقال عنه فلان متدين وفي جميع الحالات فالمراد كسب ثقة الناس ومحبتهم من أجل أغراض شخصية.

7. **المرض**

لا نتصور أن يكون المرض موضوعا مناسبا للنكتة لما فيه من آلام وأوجاع جسدية ونفسية لا تدعو للضحك والتسلية، لكن كان لمرض الزهايمر مكانا في النكتة الشعبية الجزائرية وهو ما يسمى بالخرف قديما وكان يصيب كبار السن لكن المرض الجديد (الزهايمر) يصيب الكهول أيضا، وهو مرض موت خلايا المخ جزئيا. هناك أيضا أمراض أخرى مثل الوسواس القهري وهو مرض نفسي والذي قد يؤثر أيضا على أعضاء جسم الإنسان.

من النكت التي تحدثت عن مرض الزهايمر هي:" **قالك وحدة اسمها خديجة عندها زهايمر، عرضت صحاباتها عندهم زهايمر، دخلو عندها وقصرو وشربو لاتاي بعد ساعة قاتلهم ياخاا ساعة وحنا مقصرين وما شربتكمش حاجة زادت جابتلهم لاتاي. كي جاو خارجين مروحين . قالت وحدة من صحاباتها: ما الصباح وحنا قاعدين مع خديجة ما شربتنا والو، كي خرجوا طلت عليهم من التاقة وقاتلهم : عيب عليكم تجوزو قدام داري وما تطلعوش تشربو حاجة زادو طلعوا عندها**".

تصوّر النكتة مرضى الزهايمر في وضع مثير للضحك في ظاهره، لكن في جوانبه الخفية فهو يحكى واقعا مخيفا يرفضه وينبّه له اجتماعيا وسياسيًّا فهذا المرض يحتاج إلى تدابير صحيّة توفرها الدولة لهؤلاء المرضى وكذا يحتاجون إلى العناية الأسرية واحتوائهم من طرف الأهل.

VI. نسق العنف

يعدّ العنف فعلا غير مستحب يؤدي إلى إلحاق الأذى بالغير، قد يكون ماديا كالأذى الجسدي أو معنويا كالأذى اللفظي المؤدي بدوره إلى الأذى النفسي، وهو من أصعب النتائج الناجمة عن العنف. هناك ما يسمى بالعنف الرمزي وهنا تصبح النكتة الشعبيّة السبيل الأمثل للتنفيس عن هذا الإحساس الأليم والحل الأنجع الذي يعبر به المرء عن سخطه ونقده لهذا الوضع، دون التصريح المباشر فلا يتعرض للعقاب والمساءلة على المستوى السياسي والاجتماعي أيضا.

ومن النكت الشعبية التي نكشف فيها هذا النوع من الأنساق عديدة على المستوى السياسي والاجتماعي والإقتصادي والديني، نذكر منها:

1. السياسي

"طفل قالو باباه ولدي كي تكبر واش حاب تولى، قالو بوليسي، فرح باباه وقالوا علاه ؟ قالو باه نشبع الناس ضرب لي يقلقني ياخذ طريحة".

تكشف النكتة إحساس الطفل الذي يربط رجل الأمن بالضرب، فهو لا يريد أن يكون شرطيا لخدمة الناس والحفاظ على أمن الوطن بل لمجرد الضرب وهذا قد يكون لأسباب عديدة معروفة وغير معروفة في حياة الطفل، أي أن مسألة العنف كامنة في اللّاوعي قد تختفي عندما يكبر وقد تبقى وتتبلور وتترسخ أكثر.

- يمكن أن الطفل قد تعرض في حياته اليومية لمواقف أحسّ فيها بالظلم وعدم القدرة على المواجهة واسترجاع حقوقه فقرر أن يكون شرطيا ليرفع الظلم عن نفسه.
- جعل تحقيق الأمن بالعنف دون سواه وهي النظرة التي استقاها الطفل من واقعه حين يرى الناس الذين من حوله يحلون مشاكلهم بالضرب والقذف بدل الحوار والمناقشة.
- تكشف النكتة النظرة المغلوطة التي يراها الناس في مهمة رجال الأمن باعتبارهم يطبقون سياسة الدولة المنتهجة للحفاظ على أمنها، مما يؤدي إلى فقدان الثقة بين الشعب والدولة وتزعزعها.
- إن النكتة في مضامينها تحذرنا من إهمال تربية الطفل وفهم طريقة تفكيره. لأن نتائجها يحصدها في المستقبل، فإنّ حمل أفكار مغلوطة سيؤثر على حياته ومستقبله بالسلب والعكس صحيح.
- نكشف بالإضافة لنسق العنف في النكتة أن الآباء يهتمون بمستقبل أبنائهم من خلال السؤال الذي سأله الأب لابنه وهذا يتيح للآباء التعرّف على شخصية أبنائهم وطريقة فهمهم للأوضاع والمواقف التي يتعرضون لها فيستطيعون بذلك تغيير طريقة بناء تفكيرهم ونظرتهم للأشياء.

2. الاجتماعي

ظهر نسق العنف أيضا في النكت الشعبيّة الاجتماعية فغاصت في نفسية الإنسان في عدة شرائح من المجتمع على سبيل المثال لا للتعميم، في تفكير الطفل والصديق والزوجة والزوج ومن هذه الأمثلة:

أ. تفكير الطفل

"**طفل صغير قاتلو أمو: روح اشريلي زوج خبزات والطفل كان ينسى بزاف، ماشي ويقول: زوج خبزات تعّكل في حجرة ولا يقول: زوج دبزات زوج دبزات، كي وصل للمخبزة، قال للخبّاز: عمي اعطيني زوج دبزات**".

هنا نكشف نسق العنف في لاوعي الطفل بصورة تعكس الخطر الذي يمكن أن يصل إليه تفكيره. وأنَّ العنف إذا تولد في النفس البشرية يلغي عمل العقل فيتوقف عن التفكير، وهذا ما حدث مع الطفل، فتعثره في الحجر نسي ما خرج لأجله وعندما نطق (زوج دبزات) لم يربط بين قوله والمكان الذي يتواجد فيه فعمي بصره عن رؤية الخبز وانسد أنفه عن رائحته. وهي نتائج معروفة عن العنف فالإنسان العنيف تتوقف حواسه عن أداء وظائفها ويصيب عقله نوع من الشلل في تقدير الأمور وهذا ما ينجم عنه ما يسمى بالشخص العصبي وهي صفة ارتبطت بالإنسان الجزائري كونه سريع الانفعال يعالج أموره باستعمال العنف. هذا الأمر يجعلنا نفكر كثيرا بتربية الطفل حتى نعدّل تفكيره في استبدال العنف بطريقة الحوار والسلام.

ب. الصداقة

تعدّ الصداقة في المجتمع ثمينة، لدرجة أن الصديق قد يحل محل الأخ الذي لم تلده أمك، غير أنّ النكتة الجزائرية عالجت هذا النوع من العلاقات بنوع من الفكاهة والمزاح لكننا نقرأ بين سطورها صورة أخرى من صور الصداقة التي تحمل الغيرة والحسد، على سبيل المثال لا التعميم. حيث تقول النكتة:

"**زوج صحاب ماشيين في الصحراء وتاهو، وهما ماشيين تعكّل واحد منهم في حاجة خرجلهم مارد وقالو: أطلب واش تحب بصح كي تطلب حاجة صاحبك يدي الدوبل تاعك. فكّر وقال في نفسو: كون نطلب طوموبيل صاحبي يدي زوج وكون نطلب مليار يدي هو زوج .... مالا قالو: عوّرلي عيني باه صاحبو يعورلو زوج**".

تكشف لنا النكتة نسق العنف في ظاهرها وباطنها فهو ليس بعنف لفظي أو جسدي فقط بل أبعد من ذلك فهو أحاسيس يحسها الإنسان اتجاه الآخر ويتمنى زوال النعمة كالحسد والبغض وهما صفتان ترمزان للعنف لأن نتائجها ضرر وأذى للآخر. وهناك من يطلق على هذا النوع العنف الرمزي فهو لا يكون بكلام أو بضرب ولكن بالتمني. تكشف النكتة أيضا جوانب مظلمة للصداقة فليس كل ما نسميه صديقا يستحق هذه الكلمة فالمواقف تكشف طبيعة هذه الصداقة وقوتها.

فالعنف الرمزي يعبّر عن أنانية الإنسان فيحب الخير لنفسه دون غيره ويتفرد به، ولو لم يكن كذلك، فالخسارة له ولغيره، لذلك فالإنسان يحتاج إلى الوقت الكافي لمعرفة طباع الناس الذين يخالطهم أو يعاشرهم قبل أن يربط أواصر الصداقة معهم.

ج. الحياة الزوجية

عالجت النكتة الشعبية الجزائرية العديد من العلاقات الاجتماعية الأسرية وخاصة الزوجية، وكشفت عن العديد من الأنساق الثقافية المضمرة فيها، منها نسق العنف سواء كان ذلك من جهة الزوج أو من جهة الزوجة أو من الاثنين معا. ومنها النكتة الآتية:

"قالك وحدة دارت أكسيدون بالطوموبيل ودخلت للسبيطار، راح راجلها يطلّ عليها، كيما ادخل عيط عليها وقالها: كون دخلت للدار بشعرة على قشي تشوفيها وبوطو قد هك ما شفتيهش ؟"

تكشف النكتة عن نسق العنف الذي يتجسد في نظرة الرجل لزوجته وعصبيته وانفعالاته في العديد من المواقف خاصة مع الزوجة. فالعبارة التي قالها الزوج لزوجته وإن كان ظاهرها هو العنف إلا أن المضمر فيها عنف رمزي يترجمه اللّوم والعصبية وعدم الاهتمام بعافيتها وسلامتها وهي في هذه الحالة (حادث مرور).

فاللوم كان على شيئين أولهما أنها تحاسبه عند دخوله المنزل وأنها لا تثق به وهذا يكشف غيرة المرأة على زوجها فتجعله دائما تحت المجهر وهو ما يجعل الرجل غير مرتاح ولا مستقر نفسيا وبما أن الإنسان يتأذى بهذا النوع من التصرفات فهو عنف رمزي.

وثانيهما هو لومها على عدم رؤية العمود الكهربائي بدل الاطمئنان على صحتها وهذا يجرح مشاعر المرأة فهو أيضا يعد عنفا رمزياً لأن الإهمال يؤذي مشاعر المرأة ويحطم نفسيتها.

تكشف النكتة سمة من سمات العنف وهي الانفعال الذي تترجم عصيبة الرجل الجزائري وسرعة غضبه وتصرفه دون تفكير في أول الأمر ليهدأ بعد ذلك ويعود إلى رشده.

تضمر النكتة أيضا طبيعة الإنسان الجزائري الذي يخفى طيبته ومشاعره واهتمامه اتجاه الآخر وراء انفعالات جسدية ولفظية، وهي في حقيقة الأمر تخفي الخوف على الآخر والحرص عليه. فذهابه إلى المستشفى هو في حد ذاته اهتمام.

وفي نكتة أخرى يتجسد نسق العنف في تصرف المرأة اتجاه الرجل حيث تقول النكتة: **" قالك عجوزة لقات جرّة كي هزتها خرج منها مارد وقالها شبيك لبيك واش تطلبي بين يديك، لكن لي تطلبيه نمد راجلك الدوبل تاعو، وفي يدك ثلاث أمنيات فقط قاتلو: اقلبني صغيرة، ولات صغيرة وراجلها أصغر، قاتلو: خليني مليونيرة، راجلها ولا عندو المال أكثر منها قاتلو: اجلطني جلطة صغيرة، راجلها جاتو جلطة كبيرة مات وهي ورثت كل شيء".**

يختفي بين سطور النكتة إشارات عديدة توضح الأذى النفسي الذي يصبح جسديا ملموسا فالعجوز في أمنياتها الثلاث تعبر عن أشياء قد يكون أحدها صحيحا، فقد يكون كرها تضمره العجوز لزوجها لمعاملته السيئة لها في شبابها، أو عدم تحملها خدمته، وقد تكون محبة للمال ولها القدرة على التضحية بأي شيء في سبيله، أو تكون نرجسيّة تريد كل شيء الشباب والصحة والمال وتضحي بكل شيء في سبيل ذلك.

3. الإقتصادي

تؤثر الظروف الاقتصادية على حياة الناس وسلوكاتهم وتظهر في أفعالهم وأقوالهم وهذا ما تناولته النكتة الشعبية الجزائرية وعلاقة الحياة الاقتصادية للأفراد في المجتمع بالعنف كسبب من أسبابه ومنه النكتة التالية:

" **قالك واحد حاوز مرتو عند ماليها، كي سقساه باباها واش دارتلك الطفلة حتى حاوزتيها قالو: مدايرا لوجها ماسك فيه الجوز واللوز والكيوي والبنان والتفاح وأنا تغديني عدس وتعشيني ماكارونا**".

نكشف نسق العنف في معاملة الزوج لزوجته لفظياً ونفسيًّا والسبب هو اعتناء الزوجة ببشرتها وهذا يبدو طبيعيا للطبقة الغنية أو ما يقال عنها ميسورة الحال، لكن بالنسبة لطبقات الشعب من الموظفين والعمال خاصة إذا كان الرجل هو المعيل الوحيد في الأسرة فهذا الجنون بعينه مع غلاء الأسعار وضعف القدرة الشرائية للمواطن، فالضغوطات التي يعانيها الرجل (المعيل) في كسب قوته مع مستلزمات الأسرة تجعله غير قادر على تقبل وصفات العناية بالبشرة لزوجته. فالوضع الاقتصادي يمارس العنف على الزوج وهو يمارس نفس الفعل على زوجته ولو كان المال متوفرا لما ظهر هذا العنف.

وفي نكتة أخرى: " **قالك في أوروبا المرا والراجل متعاونين على هم الدنيا، وفي الجزائر المرا وهم الدنيا متعاونين على الراجل**".

يتجسد نسق العنف في هذه النكتة في رمزية التعاون بين المرأة (الزوجة) وهم الدنيا على الزوج فهما يمارسان نوعا من العنف النفسي والجسدي عليه، لما للمرأة من متطلبات فوق طاقته وبين ضروريات الحياة اليومية التي يجب توفيرها من مأكل وملبس وفواتير وغيرها. وهو عاجز على القيام بواجباته على أحسن وجه. عكس المجتمع الأوروبي الذي يساوي بين حقوق وواجبات المرأة والرجل فهما يتفقان على العمل ومبدأ المشاركة في مستلزمات الأسرة، فتختفي الضغوطات على المرأة والرجل. ويتحقق السلم بناء على إتفاقيات تضمن سيرورة المصلحة المشتركة.

يستعمل الجزائري بعض المفردات باللهجة الجزائرية لا يجب استعمالها خارج الجزائر لأنها قد تفهم فهما خاطئاً فيتعرض صاحبها إلى ما لا يحمد عقباه، ومنه هذه النكتة: " **قالك واحد جزايري راح للحج، ومرة دخل للحانوت وقال لمولاه: أني جيت نقضي عليك. قالك السعودي خاف وعيط للشرطة وداو الجزائري للحبس، راح يقضي عشيّ في الحبس**".

يتولّد العنف النفسي (الإحساس بالخوف) عندما لا يفهمك الآخرون، وخاصة إذا فهموك فهما خاطئا، وظنوا بك السوء فيتطور الأمر إلى نوع من العقاب الجسدي.

إنّ التحدث بلسان قوم غير قومك وفي بلد غير بلدك شيء هام للغاية خاصة في ظّل التفتح الاقتصادي على دول العالم والدول العربية خاصة.

من النكت الشعبية أيضا: " **قالك واحد من آكلي لحوم البشر ركب طيارة جات المضيفة قاتلو: واش تحب تاكل نقدمهولك ؟ قالها:مشكورة الخير أو قدامي ؟**".

نكشف في النكتة العنف الرمزي المتمثل في أن آكل لحوم البشر سيجعل وجبته من هؤلاء الركّاب وهو تعبير مجازي يراد به معاني كثيرة أهمها:

- استغلال الإنسان لأخيه الإنسان حتى لو اضطر للقضاء عليه بلا رحمة ولا شفقة.
- تشير أيضا إلى النظام الرأسمالي الذي يؤمن بعبارة البقاء للأقوى ويحقق الطبقية في المال فالقويّ يأكل الضعيف.
- سقوط ما يسمى بالعدالة بين البشر خاصة في مجال المال حيث أن هناك من يصل إلى الثراء الفاحش دون جهد وتعب على حساب فئة من البشر نسميهم الطبقة الكادحة. ومن هنا ظهر مصطلح ما يسمى بمناطق الظّل.

تعدّ النكتة نقدا ساخرا للنظم الاقتصادية التي تمارس العنف بأساليب عديدة، وهي تمثل العنف بكل صوره فهي تكشف: الاستغلال للإنسان وتخلق الثراء الفاحش والفقر المدقع كما تفضح معاملة البشر باعتمادهم طرقا غير مشروعة في الربح السريع، فآكل لحوم البشر لا يريد للمضيفة أن تقدم له الطعام بل يريد أن يلتهم من حوله دون شفقة، وهذا تعبير عن مبدأ السوق والسعي وراء الربح السريع على حساب خسارة الآخرين. وما نراه في أيامنا شاهد على ذلك. ففي رمضان يرتفع سعر الخضر والفواكه، وفي عيد الأضحى يرتفع سعر الأضاحي وحين يحل الشتاء يرتفع سعر الأفرشة ووسائل التدفئة وحين يأتي الصيف تشتعل أسعار المكيفات وهلمّ جراً.

إن للنكتة أبعادا إجتماعية وسياسية ذلك أن آكل لحوم البشر وركوبه في الطائرة ترمز إلى الشخصيات التي تظهر التحضر وتتعايش معه لكنها تضمر تلك الهمجية والوحشية التي لا ترحم ولا تشفق في سبيل تحقيق أطماعها ومآربها.

ومن الجانب السياسي فهي ظهور قوى سياسية تحمي هؤلاء فيقال: إن أصحاب المال تحت حماية أصحاب النّفوذ مقابل أرباح ومكافآت فتضيع العدالة، وينجر عن ذلك ضحايا لا ذنب لهم.

4. الدين

ومن النكت الجزائرية التي نكشف فيها نسق العنف نتيجة الفهم الخاطئ للدين ما يلي:

" قالك مرا راحت تشكي للقاضي على راجلها طول كل ما تعمل حاجة ما تعجبوش يعضها، حتى ولا لحمها كامل مليان بالعضات. استدعاه القاضي وسألوا: علاه تعض في مرتك؟ قالو: ربي لي قال، قالو القاضي متعجب: كيفاه ؟ قالو: قال الله تعالى: "واللاّتي تخَافُون نشوزهنَّ فَعِظوهُنّ". (النساء -14-)

يتجسد العنف في هذه النكتة ظاهرا وباطنا فالظاهر استعمال العنف وهو فعل العضّ الذي يمارسه الزوج على زوجته لفهمه الخاطئ للآية القرآنية الكريمة، وفي نسقه المضمر نكشف ذلك العنف النفسي والذي تعانيه المرأة من المعاملة السيئة الناتجة عن الجهل والتعليم المحدود لبعض الناس الذين يدّعون فهم الدين دون تفقه أو مشورة، فالآية القرآنية تقصد بكلمةَ "فعِظوهُنّ" الموعظة وليس العضّ، والموعظة هي من " [وعظه يعظُه وعظاً

وعِظةً] نصح له، ذكّره ما يحمله على التوبة إلى الله وإصلاح السيرة"[1]. أما " العضّ" فهو إمساك الشيء بأسنانه، وشّتان بين المعنيين.

ويعد الجهل في حد ذاته رمزا للعنف لأنه في حالات عديدة يشكل أداة لإستعمال العنف المعنوي النفسي قبل الجسدي حتى أن نتائجه تكون معاناة وألم على المدى الطويل.

تكشف النكتة أيضا نسق العنف الرمزي في نظرة الاستعلاء والاستهزاء لمن يدّعون فهم الدين وتطبيق تعاليمه دون دراية وتفقه وعلم. تلك النظرة الدونية التي تلفت الانتباه للفئة التي تقتحم علوم الدين والقرآن دون تلقى تعليم كافٍ ويفسّرون الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة دون مشورة أهل الاختصاص، خاصة إذا كان الشخص غير متمرس في قواعد وأسس ومعاني اللغة العربية الفصحى.

تبقى النكتة الشعبية عموما والجزائرية خاصة كما يراها االباحثون من حيث مضامينها تتخذ من العوام مادة لموضوعاتها فهم الذين يثيرون الضحك في كلامهم أو أفعالهم وتصرفاتهم فينظرون إليهم نظرة استعلاء مضمر ينطوي على تنصّل من المسؤولية اتجاه من نسخر منهم[2].

فالنكتة الشعبية تنبثق من الجماعة الشعبية وتعود إليها ذلك أنها حديث عامة الشعب وتسليتهم التي تعينهم على هموم ومشاغل الحياة وتنسيهم آلامهم.

والحديث عنها ممتع وشيّق لغزارتها وتنوعها وخوضها في جميع مجالات الحياة بلغتها العامية المعبّرة ومفرداتها المضحكة وعمق معانيها.

[1] الأب معلوف، المرجع السابق، مادة وَعَظَ، ص 928.

[2] ماثيو هيرلي، دانيال دانيت، رنيالد آدمز، المرجع السابق، ص120.

الخـاتمة

تنطلق النكتة الشعبية الجزائرية من باب الفكاهة والضحك والدعابة والتنفيس عن النفس، وهي لا تتوقف عند هذا الحد بل تمتد في تعبيرها للواقع الذي تعيشه الجماعة الشعبية سياسيا واجتماعياً واقتصاديا ونفسيا، فهي تحمل همومها وانشغالاتها وأزماتها بأسلوب ساخر هزلي، لكنها تصل في مضمونها إلى أبعد من ذلك.

كان لمنهج النقد الثقافي الفضل الكبير في الكشف عن العديد من الأنساق الثقافية المضمرة في النكتة الشعبية الجزائرية، تكشف بدورها عن شخصية الإنسان الجزائري وارتباطه بواقعه المعاش وكيفية تعامله مع رغباته ومشاكله، وتأثره بالصفات الموروثة في اللاّوعي فتظهر في تصرفاته وحركاته وسكناته ومن هذه الأنساق الثقافية التي تضمنها البحث ما يأتي:

1. أظهرت فحولة الجزائري في تفكيره وتصرفاته بسلبياتها وإيجابياتها ودور المرأة في التأثير على أفعاله وقراراته سواء كانت المرأة أمًّا أو زوجة أو حماة.
2. السخرية من الشخصيات العامة وخرق التابوهات السياسية بحجة المزاح والمرح، كما سخرت من العديد من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، منتقدة حياة الإنسان الجزائري وطريقة تعامله مع العديد من القضايا التي أثرت على نفسيته وأسلوب حياته.
3. نسق التناقض الذي ظهر في الصراع النفسي المتخفي وراء سلوكات الفرد الجزائري ودوره في بناء وتكوين شخصيته التي تحب وتريد شيئا وتتصرف نقيض ما تريده فهي متسامحة لكنها لا تغفر وهي مقبلة على تطبيق تعاليم دينها لكنها في تصرفاتها منغمسة في ملذات الدنيا.
4. يبرز في النكتة الشعبية الجزائرية الصراع من أجل الهيمنة ذلك الصراع السياسي والاجتماعي بغية فرض السيطرة على الآخر، سواء كان على مستوى القوى السياسية أو طبقات المجتمع المختلفة، فظهر صراع الكنة والحماة أو الزوج وحماته، ودون إهمال الجانب الديني والسياسي في آن معا والمتمثل في أحداث العشرية السوداء.
5. ظهر نسق الرفض أيضا في تصوير العديد من السلوكات السيئة كالكذب والاحتيال والشعوذة وتأثيرها على المجتمع، هذا من الجانب الاجتماعي والديني أما من الجانب السياسي فقد صور فشل القوى السياسية في حل المشكلات المتعلقة بحياة المواطن وعلى رأسها أزمة السكن.
6. صورت النكتة الجزائرية في مضامينها نسق العنف الذي ميّز الجزائري في عدة مواقف وفي مختلف أعماره فظهر مع الطفل قبل الرجل، كأن الصفة تقع في اللاّوعي تجعله يتمرد بسهولة على الوضع برفضه ويجعل من العنف حلاً سواء كان لفظيًّا أو جسديًا أو نفسيًّا.

بعد الكشف عن هذه الأنساق الثقافية في النكتة الشعبية الجزائرية، تبين أن منهج النقد الثقافي سمح بالغوص في مضامين النكتة الشعبية الخفية فكشف عن ثقافة الشعب الجزائري ومعتقداته، وسلّط الضوء على جوانب من شخصيته المتميزة عن غيرها من الشعوب، سواء في تفكيره أو أسلوب حياته وآماله وآلامه وهمومه وما ترسب في

اللاشعور فترجمته أفعاله. فالنكتة الشعبية الجزائرية هي المضحكة المبكية، والمفرحة المحزنة، فهي تجمع بين ثنائيتين متضادتين ظاهرها ضَحك وهزل ومضمرها ألم وهموم وقضايا مصيرية تتحدث عن فرد لكنّها تهمّ شعبا بأكمله.

قائمة المصادر و المراجع

I. المراجع العربية

1. أحمد أمين، **النقد الأدبي**، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 1992.
2. الرحمن بن اسماعيل السماعيل، الغذامي الناقد، **قراءات في مشروع الغذامي النقدي**، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، السعودية، 1422 هـ.
3. سمير خليل، **النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب**، دار الجواهري، بغداد، ط1، 2012.
4. شاكر عبد الحميد، **الفكاهة والضحك رؤية جديدة**، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، د س.
5. عبد الله الغذامي، **النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، د س.
6. محمد سعيدي، **الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، 1998.
7. هشام جابر، **النكتة السياسية عند العرب بين السخرية البريئة والحرب النفسية**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، د س.
8. يوسف عليمات، **جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي انموذجا**، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، د ط، 2004.

II. المراجع المترجمة

1. آرثر أيزا برجر، **النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية**، ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطا ويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط 1، 2003.
2. ماثيو هيرلي، دانيال دانيت، رنيالد آدمز، **في جوف النكتة لعكس هندسة العقل**، ترجمة قيس قاسم العجرش، سطور للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط 1، 2021.

III. المعاجم والقواميس

1. الأب معلوف، منجد الطلاب، دار المشرق ش م م، بيروت، لبنان، ط 27، 1983.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015.

IV. الدوريات والمجلات

1. مجلة اللغة الوظيفية، المجلد 9، العدد 2، 2022.
2. مجلة الميدان للدراسات الرياضية الإجتماعية والإنسانية، المجلد3، العدد 9، جامعة الطارف، الجزائر، 2020.
3. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة أم القرى، السعودية، 2008، على الموقع: https://www.arabepro.com

V. الرسائل الجامعية

1. قمارى ديامنتة، **النقد الثقافي عند عبد الله الغرامي**، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013.

الفهـــرس

العنوان	الصفحة
البسملة	–
الإهداء	–
الشكر	–
مقدمة	أ–ب
مدخل: مفاهيم نظرية حول الأدب الشعبي والنكتة الشعبيّة	
مفهوم الأدب الشعبي	4
مفهوم النكتة الشعبيّة	5
سمات النكتة الشعبيّة	6
مقوّمات النكتة الشعبيّة	7
وظائف النكتة الشعبيّة	8
أنواع النكتة الشعبيّة	9
العوامل المؤثرة في النكتة الشعبيّة	11
مصادر النكتة الشعبيّة	11
الفصل الأول: النقد الثقافي والأنساق الثقافية (المفهوم، التطوّر والأسس النقديّة)	
النقد الثقافي	14
مراحل تطور النقد الثقافي	17
إجراءات النقد الثقافي	21
مفهوم الأنساق الثقافية	22
أنواع الأنساق الثقافية	23
مرتكزات النقد الثقافي	24
الفصل الثاني: دراسة الأنساق الثقافية المضمرة في النكتة الشعبيّة الجزائرية	
نسق الفحولة	30
نسق السخرية	33
نسق التناقض	40
نسق الصراع والهيمنة	43
نسق الرفض	46

نسق العنف	**50**
الخاتمة	**57**
قائمة المصادر والمراجع	**60**
الفهرس	**63**
الملخص	**–**

الملخص:

تعد النكتة الشعبية شكلا من أشكال الأدب الشعبي نوعًا تعبيريا هاما يؤدي مجموعة من الوظائف أبرزها الفكاهة والضحك وروح الدعابة، لكنّ الحقيقة أنه يؤدي وظائف أخرى أعمق من حيث نقد الواقع وتصرفات الأشخاص، من هنا اخترنا منهج النقد الثقافي للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في هذا النوع، بغرض الوصول إلى البنى الفكرية والثقافية التي تميّز الإنسان الجزائري، وقد توصل البحث إلى العديد من الأنساق الثقافية منها فحولة الجزائري بسلبياتها وإيجابياتها ودور المرأة في حياته، كما تعرض إلى السخرية من الأوضاع السياسية والاجتماعية ورفضها، والكشف عن الخوف، والرغبة في السيطرة من خلال الصراع بين أطراف عديدة في المجتمع من أجل هيمنة، كما كشف شخصية الجزائري في أوضاعه اليومية من خلال تمسكه بدينه وأخلاقه وعاداته الحسنة و بين الآفات الاجتماعية ومشاكله اليومية وتأثيرها على نفسيته وأوضاعه الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: الأدب الشعبي، النكتة الشعبية، النقد الثقافي، الأنساق الثقافية المضمرة.

Résumé :

La blague populaire. comme une forme de littérature populaire, est un type expressif important qui remplit un ensemble de fonctions dont la plus importante est l'humour, mais en réalité, elle remplit d'autres fonctions plus profondes en termes de critique de la réalité. et les actions des gens, d'où nous avons choisi l'approche de la critique culturelle pour révéler les schémas culturels implicites de ce type, Afin d'accéder aux structures intellectuelles et culturelles qui caractérisent l'être humain algérien, la recherche a abouti à de nombreux schémas : culturels, dont la virilité de l'Algérien avec ses aspects négatifs et positifs et le rôle de la femme dans sa vie, et a également été exposé à la dérision des situations politiques et sociales , leur rejet, et révélation de la peur et du désir de contrôle à travers le conflit entre de nombreuses parties dans la société pour la dominance , car elle a révélé la personnalité de l'Algérien dans ses situations quotidiennes grâce à son attachement à sa religion et à sa morale, ses bonnes coutumes et entre les maux sociaux et ses problèmes quotidiens et leur impact sur sa psyché et ses conditions économiques.

Mots clés : littérature populaire, blague populaire, critique culturelle, schémas culturels implicites.

Summary:

The popular joke is a form of folk literature, an important expressive type that performs a set of functions, most notably, humor, laughter, and wit, but the truth is that it performs other functions deeper in terms of criticizing reality, and people's behaviors. Therefore, we have chosen the cultural criticism approach to reveal the cultural patterns implied in this type in order to reach the intellectual and cultural structures that characterize the Algerian person. The research had reached many cultural patterns, including the Algerian manhood with its negative and positive aspects, and the role of woman in his life, as well as exposing both irony and sarcasm of the political and social conditions, their rejection , revealing fear and the desire to control through the conflict among multiple parties in society for the sake of dominance . Also, it brought to light the personality of the Algerian in his daily situations through its adherence to his religion, morals and his good customs, and between social ills and his daily problems and their impact on his psyche and economic conditions.

Keywords: folk littérature, populaire Joke, cultural criticisme, implicite cultural patterns.